وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيسي على – البليدة 2 –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية" الأمير خالد الجزائري"

قسم العلوم الانسانية – شعبة التاريخ –

– مطبوعة بيداغوجية –

التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي

الأصول، النشأة والتطور

(من القرن 02هـ/08م الى القرن 07هـ /13م)

الدكتور مراد تجنانت

المقياس: التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي.

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

المستوى: السنة الثانية ماستر (ل. م. د).

السنة الجامعية:2022– 2023

المقدمة

تتضمن هذه المطبوعة البيداغوجية المحاضرات التي تلقى على طلبة السنة الثانية ماستر، الطور الثاني من نظام (ل. م. د، ليسانس، ماستر، دكتوراه)، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط ،جاء هذا المقياس المقرر الخاص بالتخصص تحت عنوان :التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وستغطي هذه المحاضرات الفترة الزمنية التي تمتد من القرن الثاني للهجرة/ 8م الى القرن السابع للهجرة /13م أي المرحلة من مرحلة ما بعد الفتح الاسلامي الى عهد الدولة الموحدية.

يشكل الصوفية بمختلف تياراتهم جزءا من حركية المجتمع في مسار التاريخ الاسلامي، الى جانب مختلف الأطياف الاجتماعية، يتقدمهم أرباب السلطة والمال ومجتمع العلماء، وعالم الأدباء والشعراء، والقاعدة الواسعة من الحرفيين والتجار والفلاحين ، ولكل فئة عالمها المتميز ولكنها في نفس الوقت تبقى تتفاعل مع باقي الأطياف في انتاج الزخم الحضاري للمجتمع عبر مختلف العصور .

سيأخذ البحث مسارا ينطلق بتقديم المفاهيم العامة للتصوف كخطوة ضرورية لفهم بعض مصطلحات المحورية ، ثم سننطلق في عرض الجذور التاريخية للتصوف ، فتكون البداية من حياة الزهد منذ البعثة النبوية التي أظهرت الآيات الأولى المنزلة على النبيّ ﷺ أهمية العناية بالجانب الروحي في حياة الانسان الذي ستوجهه حتما صعاب ومكاره وإغراءات جمّة في كل مسار حياته.

من الآيات التي تحمل معاني التزود الروحي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا *إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ و قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾[1]

1 - سورة المزمل الآيات 1-7 وسورة المدثر 1-7.

كان قيام الليل والمواظبة على الصيام وسلوك حياة التقشف في الملبس والمسكن والمركب جزءا مهما ملازما لحياة الصحابة والتابعين ، الذين لم ينقطعوا وهم يعيشون حياتهم عن القيام بمختلف الأعمال الدنياوية اليومية وأخذ نصيبهم في كسب المعاش والاجتهاد في طلب العلم وبناء الأسرة وتربية وإنجاب الأولاد ونيل ما أحل لهم أو بيح من متاع ، هذا السلوك الفردي والجماعي هو الذي ميّز الحياة اليومية لهذه الأجيال الأولى من المسلمين .

سنشرح بعد ذلك التطور الذي نقل فئات اجتماعية متنوعة من الحياة الزهدية التي كان عليها للأولون في المشرق و المغرب الى زهد جنح أصحابه ممن وّصفوا بالعارفين و الزهاد و العبَّاد الى حياة أكثر تفرغا للعبادات والانقباض عن المجتمع ، و سنبين كيف سينبثق من سلوك العبَّاد و الزهاد ما صار يُعرف بالتصوف كعلم للتزكية و التصفية لما اجتهد شيوخ الصوفية على استنباط أدلة مشروعيته و ضع مناهجه، هذا التصوف الأول الذي اعتبره عدد غير قليل من العلماء المسلمين تصوفا سنّيا كونه بقي قريبا في عمومه من زهد الصحابة و التابعين، هذا قبل ظهور فرق صوفية كان لها اجتهاداتها الخاصة و لمتنوعة في الوصول الى ما يرونه أعلى مراتب تصفية الروح ، فأخذت من مناهج الفلسفي و علم الكلام و التأويل الباطني أدوات الى غاياتهم .

سنبرز مختلف المدارس والتيارات الزهدية والصوفية في بلاد المغرب والأندلس التي هي بدورها تشعبت الى فرق أخذ بعضها سبيل التصوف الكلامي والبعض الآخر طريق الفلاسفة والتفسير الباطني ، وسنذكر أشهر أعلامها وآراء شيوخها وطرائقها في التصوف.

تم الاعتماد في هذا العروض على المنهج السردي بتعريف رواد التصوف وأشهر أعلام كل فرقة والمناهج والأفكار التي قامت عليها وأتبعنا ذلك بالتحليل المدعم بالنصوص التاريخية المصدرية التي يجب عرض بعضها للمناقشة أثناء المحاضرة حتى تجعل الطالب يستوعب الأحداث التاريخية من خلال عرض أصولها القريبة، بحيث:

أولا: تمكنه من معرفة ورصد وجمع أهم المصادر التاريخية المرتبطة بالموضوع الذي يتم مناقشته،

ثانيا: تبث فيه الوعي بأن منهج البحث التاريخي وفهم الأحداث التاريخية يقومان أساسا على الاطلاع على النصوص المصدرية ثم نقدها وتحليل محتواها أثناء المحاضرة

ثالثا ؛ تضع الطالب من خلال عرض النصوص المصدرية في قلب الواقع التاريخي.

تم الرجوع زيادة على المصادر التاريخية التقليدية الى مجموعة هامة من المراجع، واجتهدنا في الاعتماد على الاعمال التي أنجزها الباحثون على المستوى الوطني خاصة لما تعلق الموضوع بالمغرب الأوسط.

قسمت العرض الى أربع عشرة محاضرة بين مقدمة وخاتمة استنتاجية :

المحاضرة رقم 01: تمهيد وتعريفات.

المحاضرة رقم 02 :من الزهد الى التصوف في المشرق.

المحاضرة رقم 03 : الزهاد في إفريقية منذ القرن الثاني الهجري/10م.

المحاضرة رقم 04: عوامل ظهور فئة العبَّاد والمتصوفة.

المحاضرة رقم 05 : الزهد عند الإباضين في بلاد المغرب.

المحاضرة رقم 06 : الزهد والزهاد في الأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

المحاضرة رقم 07 : من الزهد الى التصوف في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

المحاضرة رقم 08: الجماعات المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس(جماعة التصوف الليبيرية، جماعة التصوف المعوية).

المحاضرة رقم 09 : التيار الصوفي الفلسفي في الأندلس (مدرسة ابن مسرة).

المحاضرة رقم 10: مدرستا ابن العريف وابن برجان، وحركة ابن قسي في العهد المرابطي وبداية العهد الموحدي بالأندلس.

المحاضرة رقم 11: تصوف محيي الدين بن عربي(558- 638هـ)بين الأندلس وبجاية وبلاد المشرق.

المحاضرة رقم 12:التيار الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

المحاضرة رقم 13: التيار الصوفي العرفان في بلاد المغرب والأندلس.

المحاضرة رقم 14 :التيارات الصوفية الباطنية في بلاد المغرب .

المحاضرة رقم 01:تمهيد وتعريفات.

المقدمة.

تتضمن هذه المحاضرة تعريفات عامة حول المصطلحات المفتاحية في موضوع المتصوف

1.تعريف الزهد .

1.1تعريف الزهد لغة. الزهد لغةً ترك الشيء والميلِ عنه والزهد ضد الرَّغبة، فيقال زهد زهدا وزهادة في الشيء بمعنى أعرض عن الأمر إما احتقارا وتصغيرا له [1]، والزَّاهِد في الدين هو المعرض عَن الدّنيا ولذاتها ، ويقال "زهد فِي الدنيا بمعنى تعفف عن حلالها مخافة الحساب وترك حرامها مخافة عقاب" [2].

قال عالم اللغة جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي(ت711 هـ /1311 م) ((لا يقال الزهد إلا في الدين خاصة وهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا))[3].

لم ترد كلمة الزهد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى عن قصة يوسف وأخوته ﴿ وَشَرَوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[4] وفسر عالم اللغة محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي (467 – 538 هـ /1075 – 1144 م) " باعوه بِثمن بخس ناقص ، أو زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودةٍ قليلة تعدّ

1- إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر ، محَّمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،دار الدعوة. ج1 ص 403.

2 - نفس المرجع، ج1 ص 403.

3 - ابن منظور محَّمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ/1311): لسان العرب،ط3، دار صادر بيروت 1414 هـ . ج3 ص196.

4 -سورة يوسف الآية 20.

عدّا ولا توزن"[1]؛ أما الآيات التي يُفهم منها حث المسلمين على الزهد فهي كثيرة كقوله تعالى﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾[2] .

لم يُوصف النيّ ﷺ بصفة الزهد وإن كان الزهد من خلقه وصفة الملازمة له في تعامله مع ربه ونفسه ومع جميع النّاس ، و"كان ﷺ جامعا لصفات الخلق متزنا في سلوكه بين السمو الروحي والحاجات الدنيوية"، وقد جمعها الامام الترمذي في مصنفه الشمائل المحَّمدية[3].

هناك أحاديث نبوية أوصت المسلمين بالزهد في الدنيا منها قوله ﷺ مرفوعا عن عبد الله بن عمر ((صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَهَلَاكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ))[4]، وقد خرّجه عدد من رجال الحديث منهم الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد وأبو القاسم الطبراني (ت 360هـ) في المعجم الوسيط وأبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي في فتح الباري شرح صحيح البخاري وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها.

2.1. زهد الصحابة. وُظفت كلمة الزهد لوصف حالة عدم انغماس الصحابة في زينة الحياة الدنيا و الترفع عنها، فخص صاحب كتاب الجامع للعالم المحدث أبي عروة البصري معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي نزيل اليمن (ت153هـ/770م) بابا بعنوان في زهد الصحابة مما جاء فيه ((قدم علينا عمر بن الخطاب وإذا عليه قميص من كرابيس فأعطانيه وقال : " اغسله وارقعه " قال : فغسلته ورقعته ، ثم قطعت عليه قميصا قبطيا ، فأتيته بهما جميعا فقلت : هذا قميصك ، وهذا قميص قطعته عليه لتلبسه ، فمسه بيده فوجده لينا ، فقال : "

---

1 -الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ/1143م): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،ط3، دار الكتاب العربي بيروت 1407 هـ .ج 2ص452، 453.

2 - سورة الحديد الآية 23.

3 -أنظر ما يتعلق بشخص النّبي ﷺ خلقا وخلقا الترمذي محَّمد بن عيسى بن سَوْرة (ت279هـ/892م):الشمائل المحَّمدية،تحقيق سيد بن عباس الجليمي،ط1،المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة 1413هـ/ 1993 م.

4 - البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ): شعب الإيمان، تحقيق ومراجعة وتخريج مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد،ط1 ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند1423 هـ / 2003 م. ج13ص 290.

لا حاجة لنا فيه ، هذا أنشف للعرق منه))[1] ، و نقل عبد الله بن المبارك عن سفيان (الثوري)عن حجاج بن فراضة عن الصحابي بُدَيْلٍ بن ورقاء بن عبد العزي بن ربيعة قوله ((من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن))[2].

3.1.بعض مراتب الزهد. قسم ابن تيمية وقيل أحمد بن حنبل الزهد الى ثلاث مراتب[3]: ترك الحرام وهو خاص بالعوام من الناس، وترك فضول من الحلال وهو زهد الخواص، وترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين.

وقال ابن تيمية أن السلف كانوا يّسَمَوْن أهل الدين والعلم (القراء) فيدخل فيهم العلماء والنساك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء[4]

2.تعريف الوَلِيُّ والعارف.

1.2.تعريف الولي. ورد المصطلحات في القرآن في قوله تعالى﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5] ، والولي هو النصير، وفي المعجم الكبير للطبراني عن عبد الله بن عبَّاس ﷺ ، عَنِ النبيّ ﷺ

1- أنظر معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (ت 153ه): الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي،ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت1403 هـ. ج11ص ص310-314 .

2- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت 181ه):الزهد والرقائق لابن المبارك ، تحقيق وتعليق أحمد فريد، ط1 ،دار المعارج الدولية للنشر الرياض المملكة العربية السعودية،1415ه/1995م. مج 1ص 241.

3- الفيروزآبادى مجد الدين محَّمد بن يعقوب (ت 817ه): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محَّمد علي النجار، (د ر ط) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. 1416 هـ - 1996 م.ج3ص139 وعبد الرؤوف زين الدين محَّمد القاهري (ت 1031ه):الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، دار ابن كثير دمشق- بيروت(د ت ن). ص166 .

4 - ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728ه) :الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،(د رط) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق1405 هـ / 1985 م. ص ص 52،51.

5 -سورة يونس، الآية 62-64

قَالَ((يُذْكَرُ اللهُ بِرُؤْيَتِهِمْ)) [1]، وفي سنن أبي داود ((هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف النَّاس، ولا يحزنون إذا حزن النَّاس))[2]. عرّف الفقيه الشافعي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الوليّ بقوله ((أهل ولايته المستحقون لكرامته ، أو الذين آمنوا وكانوا يتقون، أو الراضون بالقضاء والصابرون على البلاء والشاكرون على النعماء، أو من توالت أفعالهم على متابعة الحق، أو المتحابون في الله تعالى))[3]؛ و جاء في فتح الباري لابن حجر العسقلاني ((لما كان وليُّ الله من تولَّى اللهَ بالطاعة والتقوى تولاَّه الله بالحفظ والنصرة))[4]، وعمّ استعمال كلمة الولي عند المسلمين بمعاني متنوعة منها ما يطلقه الأتباع والمريدون على من يعتقدون فيهم الصلاح ويرونه من أصحاب الكرامات أو الخوارق.

2.2.معنى العارف بالله تعالى. هو المواظبُ على الطاعات المتجنبُ للمعاصي المعرضُ عن الانهماك في اللذات والشهوات[5]، وهو المستغرق فِي معرفة الله ومحبته، العارف بأسمائه، وصفاته، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[6].

جاء عند الفقيه القاضي محدث أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ) في وصف شيخه صفي الدين أحمد بن محَّمد الأنصاري المدني فقال((شيخنا العارف بالله صفي الدين أحمد بن محَّمد الأنصاري المدني قدس سره)) [7] .

1- الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ):المعجم الكبير،(ط1) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة 1415 هـ - 1994 م).ج12ص13.

2- أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت 275هـ): سنن أبي داود، تحقيق شعَيب الأرناؤوط - محَّمد كامِل قره بللي، ط1،دار الرسالة العالمية (د م ن)1430 هـ - 2009 م.ج5ص387.

3 - عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ): تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)،تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم - بيروت1416هـ/ 1996م.ج2 ص 72.

4 - ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي : فتح الباري شرح صحيح البخاري، ، تحقيق وتخريج محَّمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ/2004م. ج11 ص343.

5- محَّمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهية،ط1، دار الكتب العلمية بيروت.
1424هـ - 2003م.ص240

6- سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا،ط2 ،دار الفكر. دمشق - سورية1408 هـ / 1988 م. ص390.

7- أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ):كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محَّمد ناصر الدين الألباني)،ط1،المكتب الإسلامي(د م ن)، 1400هـ/ 1980م.ص5.

3.2. تعريف الطريقة. استعمل صاحب كتاب الرسالة القشيرية عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (376 – 465 هـ/ 986 – 1072م) كلمة الطريقة للدلالة على منهج يقوم عليه التصوف ويسير عليه السالك، فقال ((وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجيدهم، وكيفية ترقيهم من بدايتهم إلى نهايتهم)) ووصف القشير الجنيد بسيد الطريقة[1].

3.تعريف التصوف.

1.3.التعريف اللغوي. قد تكون كلمة التصوف عربية مأخوذة من الصفة وهم مجموعة من فقراء الصحابة كانوا يقيمون قرب المسجد النبوي فينفق عليه الرسول ﷺ من الصدقات ويطعمهم و يكسوهم، نقل الصوفي أبو بكر محَّمد بن أبي إسحاق الكلاباذي (ت 384هـ/994م) صاحب كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف ((إِنَّما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أَوْصَاف أهل الصّفة الَّذين كَانوا على عهد رسول الله ﷺ وقَال قوم إِنَّما سموا صوفية للبسهم الصُّوف))[2]، و نقل القشيري قول الصوفي أَبو سليمان الداراني الدمشقي(ت215 هـ / 830 م) الذي استعمل كلمة الصوف للدلالة على التصوف ((الصوف علم من أعلام الزهد، فلا ينبغي أَن يلبس(الصوفي) صوفا بثلاثة دراهم وَفِي قلبه رغبة خمسة دراهم))[3] ، و قيل أن الكلمة مشتقة من الصوف، لأن المتصوفين كانوا يؤثرون لبس الصوف الخشن للتقشف ، نسبت كلمة الصوفية إلى صفوة الفقهاء. وقيل تنسب الى صوفة بن مر ابن أد بن طابخة، وهي قبيلة من العرب، يُعرفون بالنسك ، وقيل إنها أطلقت على أهل صفاء السرائر، وقيل هم الصفوة من المسلمين، وقيل إنها تعود إلى الصف المقدَم بين يدي الله تعالى[4]

2.3. هل هناك أصل يوناني للتصوف. أعاد البعض كلمة الصوفية لأصل يوناني منهم رياضي وفيلسوف أبو الريحان محَّمد بن أحمد البيروني (262 – 440 هـ / 973 – 1047 م)في هذا الربط و التشبيه يقول البيروني((ومنهم(يقصد الفلاسفة اليونانيين) من كان يرى الوجود الحقيقيّ لعلّة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها

---

1 - القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف،ط1 ،دار المعارف، القاهرة 1995.ج1ص ص 17،19.

2 - الكلاباذي أبو بكر محَّمد بن أبي إسحاق البخاري الحنفي (ت 380هـ):التعرف لمذهب أهل التصوف،(د رط) ، دار الكتب العلمية بيروت(د ت ن). ص21 .

3 -القشيري، المصدر السابق، ص241.

4 - أنظر نفس المصدر، ج2 ص 440 وابن تيمية ،الفرقان المصدر السابق، ص ص 50، 51.

فيه وحاجة غيرها إليها وأنّ ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غير حقّ والحقّ هو الواحد الأوّل فقط، وهذا رأي السوفيّة وهم الحكماء فإنّ «سوف» باليونانيّة الحكمة وبها سمّى الفيلسوف «بيلاسوبا» أي محبّ الحكمة؛ ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمّوا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكّل إلى «الصفّة» وأنّهم أصحابها في عصر النيّ ﷺ))[1] .

3.3.رأي القشيري في هذه التسميات. ناقش القشيري هذه التسميات بقوله((...وليس يشهد لِهَذَا الاسم من حيث العربية قياس والاشتقاق والأظهر فِيهِ أَنَّهُ كاللقب فأما قَوْل من قال إنه من الصوف وتصوف إِذَا لبس الصوف، كَمَا يقال: تقمص إِذَا لبس القميص فذلك وجه لكن القوم لم يختصوا بلبس الصفو ومن قال إنهم منسوبون إِلَى صفة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إِلَى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ، ومن قال: إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد فِي مقتضى اللغة وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم فِي الصف الأَوَّل بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إِلَى الصف ثم إن هذه الطائفة أشهر من أَن يحتاج فِي تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق وتكلم النَّاس في التصوف ما معناه وَفِي الصوفي من هو فكل عبر بِمَا وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عَنِ المقصود من الإيجاز وسنذكر بعض مقالاتهم فِيهِ على حد التلويح إن شاء الله تعالى))[2].

4.3.تعريفات عن التصوف وأحوال المتصوفة. عرّف العالم المفسر فخر الدين الرازي (ت 606هـ/1209م) أحوالهم على ثلاث مراتب فقال((ولِأَن الطَّرِيق الى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق الْبَدَنِيَّة وهَذا طريق حسن وهم فرق:

- الأولى أَصحاب العبَّادات وهم قوم مُنْتَهى أَمرهم وغايته تزْيِين الظَّاهر كلبس الْخِرقَة وتسوية السجادة
- الثَّانية أَصحاب العبَّادات وهم قوم يشتغلون بالزهد وَالعبَّادة مع ترك سائر الأشغال

---

1 - البيروني محَّمد بن أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط1 دائرة المعرف العثمانية حيدر أباد الهند 1377هـ/1958م .ص ص 24 ،25.

2 -القشيري المصدر السابق . ج2 ص440 . من الذين شرحوا المصطلح من المعاصرين أنظر المستشرق لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف ، ترجمة إبراهيم خورشيد ،عبد الحميد يونس، ، حسن عثمان، ط1 ، دار الكتب اللبناني بيروت 1984. ص 28 وفاطمة الزهراء دواد ، التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله ، مجلة حوليات القرآن جامعة مستغانم العدد 01 سنة 2004. ص ص 78، 79 ، و عبد الله حسن زروق : أصول التصوف ، المركز القومي للإنتاج الاسلامي ،أفريل 1994. ص ص24، 25.

- الثّالثَة أَصحاب الْحقيقَة وهم قوم إِذا فرغوا من أَدَاء الْفَرائض لم يتشغلوا بنوافل)) [1]

وقال الفيلسوف وعالم اللغة الشريف علي بن محَّمد الجرجاني(ت 816هـ/1413م) ((التصوف مذهب كله جد. فلا يخلطونه بشيء من الهزل ، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسول الله ﷺ في الشريعة، وقيل: ترك الاختيار، وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود، وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك، وقيل الإعراض عن الاعتراض، وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا، وقيل الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل خدمة التشرف، وترك التكلف، واستعمال التظرف، وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيدي الخلائق))[2].

عرف الغزالي التصوف بقوله((اعلم أن السلوك هو تهذيب الاخلاق و الاعمال والمعارف، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر و الباطن و البد في جميع ذلك مشغولا عن ربه، إلا أن المشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول ، والذي يفسد على السلوك سلوكه شيئان : اتباع الرخ بالتأويلات، والاقتداء بأهل الغلط من متتبعي الشهوات ...لا تصح ارادة المريد حتى يكون الله و رسوله وسواس قلبه و يكون نهاره صائما و لسانه صامتا لان كثرة الطعام و الكلام و المنام تقصي القلب و ظهره ، راكعا و جهته ساجدة و عينه دامعة غاصة و قلبه حزينا و لسانه ذاكرا))[3].

---

1 - فخر الدين الرازي محَّمد بن عمر (ت 606هـ/1209م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (د ر ط)، تحقيق علي سامي النشار دار الكتب العلمية 1982 بيروت. ص72.

2 -الجرجاني علي بن محَّمد (ت 816هـ/1413م):كتاب التعريفات، تحقيق وصححه جماعة من العلماء ،ط1، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان1403هـ/1983م. ص ص 59، 60.

3 -أبو حامد الغَزَالي الطوسي (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م): روضة الطالبين و عمدة السالكين، تحقيق محَّمد بخيت، (د رط) ، دار النهضة الحديثة بيروت1900. ص ص22،23 .أنظر بقية النص، ص ص24، 25، 26.

ورد مصطلح الصوفي في كتاب البيان والتبيين للجاحظ (في وصفه لرجل من الزهاد) بذكره باسم أبي هشام (ت160هـ)يقول ((رأيت أبا هاشم الصوفي مقبلا من جهة النهر، فقلت: في أي شيء كنت اليوم؟ قال: في تعلم ما ليس ينسى، وليس الشيء من الحيوان عنه غنى. قال: قلت وما ذاك؟ قال: السباحة))[1] .

الاستنتاج.

يبقى وضع تعريف شامل متفق عليه للتصوف أمرا صعبا، يرجعه ابن خلدون لعاملين:

الأول أن هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية التقنين العلمي بل وصف أحوالهم الخاصة.

الثاني أن كلمة تصوف في حد ذاتها اكتسبت مع الوقت معاني جديدة ميز بعضها وتعريفات أبعدتها عن مفهوم الزهد الذي كان عليه الصحابة سلف من أعلام الأمة.

1 - الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب(ت 255هـ) البيان والتبيين، تحقيق علي بو ملحم، (د ر ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت1423هـ/2002م. ج2 ص ص 124 ،292 .

المحاضرة رقم 02 :

من الزهد الى التصوف في المشرق

المقدمة.

انطلاقا من قول القشيري الذي يبين أن الصحابة لم يوصفوا إلا بصفة نسبتهم للنّبي ﷺ بالصحبة ننطلق في هذه المحاضرة بتحليل الطريق الذي انتقل فيه طائفة من أهل العلم خاصة من الزهد الذي كان صفة ملازمة للصحابة الى التصوف الذي صار صفة يقصد بها فئة من المجتمع .

1.الزهد صفة ملازمة للصحابة .

قال الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأصحابه((أَنْتُمْ أَكْثَرُ صَوْمًا وَصَلَاةٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدْ وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ قَالُوا " لِمَ يَا أَبَا عَبْدَ اَلرَّحْمَنْ ؟ " ، قَالَ " لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَزْهَد فِي اَلدُّنْيَا وَأَرْغَبُ فِي اَلْآخِرَةِ "))[1].

مدحهم المولى عزّ وجلّ الصحابة. فقال ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

قال الصحابي قتادة بن النعمان (ت 23 هـ / 644 م) ((رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ألقى الله في قلوبهم الرحمة، بعضهم لبعض، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا تراهم ركعا أحيانا لله في صلاتهم سجدا أحيانا، يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ يلتمسون

---

1 - ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ): الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط1، دار الكتب العلمية، 1408هـ/ 1987م.ج 2 ص140.

2 - سورة الحجرات، الآية 29.

بركوعهم وسجودهم وشدّتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا، فضلا من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيُدخلهم جنته ورِضْوَانًا وأن يرضى عنهم ربهم))[1].

جاء في تفسير ابن كثير((وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة. وهي خير لأعمال، وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ،عزّ وجلّ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب وهو الجنّة المشتملة على فضل الله ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول))[2].

قال العالم المفسر محَّمد علي الصابوني((تراهم أيها السامع راكعين ساجدين من كثرة صلاتهم وعبادتاهم، رهباتٌ بالليل أسودٌ بالنهار {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً} أي يطلبون بعبادتهم رحمة الله ورضوانه))[3].

عن أنس بن مالك ((رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ رَقَعَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِرِقَاعٍ ثَلاَثٍ لَبَّدَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ))[4]، وعَنِ الحسن بن علي، قال ((دَخَلَ سَلْمَانُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَاتِحٌ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا فَلَا تَأْخُذُنَّ مِنْهَا إِلَّا بَلَاغًا))[5].

زهد الصحابي عبدالله بن عمر بن الخطاب. كان بعد رسول الله ﷺ يكثر الحج، وكان كَثِير الصدقة، وربما تصدق فِي المجلس الواحد بثلاثين ألفًا ، و نقل المؤرخ عز الدين ابن الأثير أن الصحابي عبد الله بن عمر "إِذَا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه "[6] ، و دخل ابْنُ عُمَر الكعبة، فَسُمع، يَقول: ((قَدْ تعلم يا ربي ما يمنعني من مزاحمة قريش عَلَى الدنيا إلا خوفك، و كَانَ إذا قَرأَ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

---

1 - الطبري محَّمد بن جرير (ت 310هـ/): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الجيزة مصر1422 هـ / 2001 م. ج21 ص 321.

2 - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محَّمد سلامة،ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع مدينة نصر القاهرة ،1420هـ/ 1999 م .ج7 ص 361.

3 - محَّمد علي الصابوني: صفوة التفاسير،ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،1417 هـ /1997 م. ج 3ص 211.

4 - مالك بن أنس (ت 179هـ): الموطأ، تصحيح وتحقيق وتخريج محَّمد فؤاد عبد الباقي، (د ر ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان 1406 هـ - 1985 م. ج2 ص218.

5 - أبو داود سليمان بن الأشعث (ت 275هـ): الزهد لأبي داود السجستاني، تحقيق ياسر بن ابراهيم ، غنيم بن عباس وراجعه: محَّمد عمرو بن عبد اللطيف،ط1،دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان،1414 هـ/ 1993م. ص57.

6 - ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق علي محَّمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود،ط1 ، دار الكتب العلمية1415هـ - 1994 م ج3 ص 336.

لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بكى حتَّى يغلبه البكاء[1]، و يبدو أن حديث النبيّ ﷺ لأخته حفصة بنت عمر ((إنّ أخاك عبد الله بن عمر رجل صالح، لو كان يقوم من اللّيل)) قد دفعه الى الميل لحياة الزهد ، فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل، نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد وهو يقول: «قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلّا خوفك». وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر. قال: وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «ما أحد إلّا مالت به الدنيا، إلّا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله» وكان إذا أعجبه شيء من ماله خرج عنه لله عزّ وجلّ وكان ربما تصدّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا وكان يأتي عليه الشهر ما يأكل فيه غلة لحم، وما مات حتى أعتق ألف رقبة أو أكثر [2].

عبد الله بن عمرو بن العاص. أسلم قبل أبيه وكان يداوم على الصّوم ولا ينام اللّيل فشكاه أبوه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ لعينيك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقّا، ولزوجك عليك حقّا فقم ونم وصم وأفطر» قلت: وكان رضي الله تعالى عنه يقول: «لأن أدمع دمعة من خشية الله عزّ وجل أحبّ إليّ من أن أتصدّق بألف دينار» ، وعن يعلى بن عطاء عن أمّه أنّها كانت تصنع الكحل لعبد الله بن عمرو وقالت: ((وإنّه كان ليقوم اللّيل فيطفئ السّراج فيبكي حتّى مرضت عيناه))[3]

عبد الله بن الزبير كان صوما قوما قال التابعي عمرو بن دينار(ت 126هـ) ((مَا رَأَيْتُ مُصَلِّيًا قَطُّ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ)) عنْ مجاهد، قال((كَانَ عبد الله بن الزبير إذا قام إلى الصلاة كأنه عود ، وكان يقول: ذلك من الخشوع في الصلاة))، وقالت أمه أسماء بنت أبي بكر لما ذكر عِنْدَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ((كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَوَّامَ اللَّيْلِ، صَوَّامَ النَّهَارِ، وَكَانَ يُسَمَّى: حَمَامَ المسْجِدِ)) "[4].

2.زهد التابعين.

كان التابعون على خطى الصحابة، يجمعون بين العلم والعمل، وحياة الزهد مع حرصهم على الاقتداء بالسنّة النبوية ، لقد كان فيهم من يغلب عليه الخوف الشديد والبكاء المستمر، نذكر منهم:

---

1 - نفسه.

2 - الدباغ عبد الرحمن بن محَّمد الأنصاري الأسيدي(ت 699 ه): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق عبد المجيد الخيالي،ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محَّمد علي بيضون بيروت 1426 ه. (1/ 101، 102)

3 - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (ط العلمية) (1/ 127)

4 - أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت 430ه): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،(د رط) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394ه - 1974م. ج 1ص 335.

صفوان بن سليم(132هـ/749م) مولى عبد الرحمن بن عوف، قال عنه المؤرخ ابن سعد في الطبقات ((كان ثقةً كثير الحدِيث عابِدا))[1] ، وجاء في كتاب مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار للمحدث محَّمد بن حبان الدارمي أنه ((من عباد أهل المدينة))[2]،

منهم في البصرة طلق بن حبيب العنزي(ت قبل100هـ/718م) من كبار العاملين، وعطاء السليمي البصري (ت بعد 140هـ/ 757م)العابد وهو من صغار التابعين أدرك أنس بن مالك وسمع والحسن البصريجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي ((بكى حتى عمش وربَّما غشي عليه عند الموعظة)) [3] .

من الكوفة الأسود بن يزيد بن قَيْسٍ النَّخَعِيُّ، الفقيه روى الحديث عن الصحابة معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وبلال بن رباح وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري وعائشة رضي الله عنهم ، قال الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي أنه كان على أمر كبير من العبَّادة والحج فحج من بين ثمانين حجة وعمرة ، وأضاف مؤكدا أنه كان صواما قوما حجّاجا[4].

من جرجان أَبو عبد اللَّهِ كرز بن وبرة الحارثي كوفي دخل جرجان غازيا مع الأمير بن المهلب بن أبي صفرة سنة 98هـ/716م، ثم استقر هناك وبنى بها مسجدا، عُرف بالزهد والعبَّادة مجتهدا فيها، ورعا مقبلا على الصلاة[5] ، جاء في سير أعلام النبلاء((له الصيت البليغ في النسك والتعبد))[6] .

قال الذهبي " هكذا كان زهاد السلف وعبادهم أصحاب خوف وخشوع وتعبد وقنوع لا يدخلون في الدنيا وشهواتها ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والاتحاد"[1].

---

1 - ابن سعد الله محَّمد بن سعد بن منيع(ت: 230هـ):الطبقات الكبرى،ط1، تحقيق محَّمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت1410 هـ - 1990 م.ج5ص417.

2 -الدارمي محَّمد بن -حبان البُستي (ت 354هـ): مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على ابراهيم،ط1 ،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة1411 هـ - 1991 م. ص 216.

3 -شمس الدين أبو عبد الله محَّمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة1427هـ-2006م. 6ج ص247.

4 - الذهبي تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام،ط1، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي2003 م.ج2ص789.

5 - الجرجاني حمزة بن يوسف السهمي القرشي (المتوفى: 427هـ): تاريخ جرجان،ط4، تحقيق تحت مراقبة محَّمد عبد المعيد خان عالم الكتب - بيروت1407 هـ - 1987 م. ص 336.

6 - الذهبي ، المصدر السابق، ج6 ص 247.

من بلخ إبراهيم بن أدهم من حياة الترف الى حياة الزهد، وأبو إسحاق إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي ، نسبه القشيري لأبناء الملوك (ت161 هـ / 778 م) ، وصفه الذّهبي في تاريخه بالقدوة، الإمام، العَارف، سَيّد الزُّهّاد، وقال النسائي ((ثِقة، مأمون من الزهاد... وَكان أَبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبُرَاةِ)) وصحب بمكة التابعيين سفيان الثوري والفضيل بن عياض، كان بلخ بن إبراهيم الزاهد يأكل من عمل يده مثل الحصاد والعمل في البساتين[2].

3. ظهور التصوف والطبقة الأولى الذين عدوا من الصوفية.

1.3. أول من أظهر التصوف .قال ابن تيمية أن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (ت بعد سنة 150هـ) [3]هو من أصحاب العالم التابعي الحسن بن يسار البصري (21 – 110 هـ/ 642 – 728 م)[4] ، وأضاف ((وكان في البصرة مِنَ المبالغة في الزهد والعبَّادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية))[5] ، يمكن القول من خلال ما ذكره ابن تيمية أن الصوفية تكون قد ظهرت في آواخر النصف الأول من القرن الثاني هجري/8م .

2.3.ممن ذكروا في هذه الطبقة الأولى من الصوفية. ودون القشيري نحو نحو84 علما من الأعلام عدّهم من المتصوفة[6] ،في مقدمتهم أَبُو الفيض ذو النون الْمِصْرِي واسمه ثوبان بن إبراهيم، أو الفيض بن إبراهِيم ، كان أبوه من بلاد النوبة (ت245هـ)، قال عه ابن تيمية أنه كان ((فائق هَذَا الشأن وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا، سعوا به إِلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكي المتوكل ورده إِلى مصر))[7] .

---

1 - الذهبي نفس المصدر ، ج6 ص 246.

2 - القشيري، المصدر السابق، ج1ص ص40،41

3 - قَالَ البُخَارِيُّ والنَّسَائِيُّ: متروك الحديث.، وقال ابن حِبَّانَ: كَانَ مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِ العبَّادةُ حَتَّى غَفِلَ عَنِ الإِتقَانِ فَكَثُرَتِ المَنَاكِيْرُ فِي حَدِيْثِهِ. سير أعلام النبلاء ط الحديث (6/ 587)

4 - ابن تيمية :مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محَّمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م. ج11ص 6 .

5 - ابن تيمية :مجموع الفتاوى. ج11ص 6 .

6 - نس المصدر، ج1 ص ص 34- 150.

7 - نفس المصدر ، ج1 ص 38.

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي (ت 253 هـ / 867 م) الزاهد المتحدث ، وأحاديثه قليلة ؛ صحِب معروف الكرخيّ[1] قال الفقيه الشافعي سراج الدين بن الملقن((أحد الأوتاد كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، ملازماً بيته لا يخرج منه ولا يراه إلا من يقصده. وكان تلميذ معروف الكرخي))[2]، وقال الجنيد عن زهد خاله سري بن المغلس((ما رأيت أعبد من السريّ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة الموت)) ،ونقل أنه سئل عن التصوف الإعراض عن الخلق، وترك الاعتراض على الحق)) [3] ، وقال الخطيب البغدادي ((كان من المشايخ المذكورين وأحد العبَّاد المجتهدين))[4] .

أبو علي الفضيل بن عياض خراساني من ناحية مرو وقيل: إنه ولد بسمرقند توفي بمكة فِي المحرم سنة 187هـ، شيخ الحرم المكيّ من أكابر الزهاد وثقة في الحديث، ممن أخذ عنه الإمام الشافعيّ [5].

بشر بن الحارث بن علي المروزي، المعروف بالحافي(150 – 227 هـ) من كبار الصالحين مشهور في الزهد والورع ، ومن ثقات رجال الحديث، وصحب الفضيل بن عِياض ، ذكر الوزير يحيى بن أَكثم قَال لي المأمون بشر بن الحارث الحافي ((لما مات لم يبْق فِي هَذِه الكورة أحد))[6]

3.3. من الطبقة الثانية من المتصوفة. أَبُو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي (ت 200 هـ / 815 م)، من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ، نشأ وتوفي ببغداد، كان مقصد النّاس للتبرك به و كان الإمام أحمد ابن حنبل في جملة ممن يزوره، ولابن الجوزي كتاب في (أخباره وآدابه)[7]، و جاء في طبقات الحنابلة أنه من

---

1 - الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ): الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ،(د ر ط)دار إحياء التراث - بيروت وتركي مصطفى1420هـ- 2000م..ج15 ص85.

2 - ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت 804هـ) : طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه من علماء الأزهر،ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة،1415 هـ - 1994 م. ص 160.

3 -ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان،1415 هـ / 1995 م. ج20 ص 178.

4 - الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي(ت 463هـ):تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف ،ط1، دار الغرب الإسلامي – بيروت 1422 / 2002 م. ج10ص260.

5 - نفس المصدر ج1ص ص41،40 ومحَّمد بن الحسين النيسابوري (ت 412هـ):طبقات الصوفية،ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت1419هـ 1998م.ص22.

6 - النيسابوري ،نفس المصدر، ص ص 42، 43

7 - الزركلي خير الدين بن محمود بن محَّمد بن علي بن فارس، الدمشقي: الأعلام،ط15، دار العلم للملايين بيروت لبنان 2002 م. ج 7 ص 269.

المشهورين بالزهد والعزوف عن الدنيا و يضيف ((يغشاه الصالحون ويتبرك بلقائه العارفون وكان يوصف بأنه مجاب الدعوات وحكي عنه كرامات))[1]،و ذُكِر معروف بن فيروز في مجلس الامام أحمد بن حنبل ، فقال بعض الحضور((هو قصير العلم)) فقال أحمد((أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف))[2].

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد وأستاذه ، وَكَانَ تلميذ معروف الكرخي، كَانَ أوحد زمانه فِي الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد[3].

الحارث بن أسد المحاسبي البصري البغدادي (ت 243 هـ / 857 م) قال النيسابوري في طبقات الصوفية((من علماء مشايخ القوم بعلوم الظَّاهر وعلوم المعاملات والإشارات ...وَهو أستاذ أَكثر البغداديين))، وقال عنه الخطيب البغدادي((أحد من اجتمع له الزهد وَالمعرفة بعلم الظاهر وَالباطن))[4]، و قال ابن خلكان ((الزاهد المشهور، أحد رجال الحقيقة))[5] ،و قال الذهبي ((العارف، صاحب التواليف))[6]، من أقواله ((خِيَار هَذِه الأمة الَّذين لا تشغلهم آخرتهم عَن دنياهم وَلَا دنياهم عَن آخرتهم))،وقوله ((الَّذِي يبْعَث العَبد على التَّوْبَة ترك الإِصرَار وَالَّذِي يَبعَثهُ على ترك الإِصرار ملَازمَة أْخوف))،وقوله((لَا يَنبَغِي أَن يطلب العَبد الوَرع بتضييع الوَاجِب))؛وقال ((صفة العُبُودِيَّة لَا ترى لنَفسك ملكا وَتعلم أَنَّك لَا تملك لنَفسك ضرا وَلَا نفعا)) وقال ((التَّسلِيم هُوَ الثُّبُوت عِند نزُول البلَاء من غير تغير مِنهُ فِي الظَّاهِر وَالبَاطِن))،وقال في الرجاء ((الطمع فِي

---

1 - ابن أبي يعلى، محَّمد بن محَّمد (ت 526هـ):طبقات الحنابلة، ،تحقيق محَّمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت. ج1 ص 381.

2 - الخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت 463هـ): تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1417هـ. ج132 ص 201.

3 - القشيري، المصدر السابق ، ج1 ص 45.

4 - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ):تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف،ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت1422هـ - 2002 م، ج 2ص153

5 - ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محَّمد (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت ، ج2 ص 57 ،مكتبة الوقفية عن Archive.org https://waqfeya.net/book.php?bid=1539 تاريخ المشاهدة 2022/6/16.

6 - الذهبي ، تاريخ الاسلام، ج1 ص430

فضل الله تَعَالَى وَرَحمته وَصدق حسن الظَّن عِند نزُول الموت)) وقال ((العمل بحركات القُلُوب فِي مطالعات الغيوب أشرف من العَمَل بحركات الجوارح))، و أقواله كثيرة في الزهد)) [1].

أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي، من مشايخ خراسان قال القشيري ((له لسان فِي التوكل))،[2]. وحاتم بن يوسف الأصم ، من أكابر مشايخ خراسان مما قاله في التصوف((من دَخَلَ فِي مذهبنا هَذَا فليجعل فِي نَفْسه أربع خصال من الموت: موتا أبيض وهو الجوع، وموتا أسود وهو احتمال الأذى من الخلق، وموتا أحمر وَهُوَ العمل الخالص من الشوب فِي مخالفة الهوى، وموتا أخضر وَهُوَ طرح الرقاع بَعْضهَا عَلَى بَعْض))[3].

أَبُو القاسم الجنيد بْن محَّمد (ت 297هـ) قال القشير ((سيد هذه الطائفة وإمامهم)) أصله من نهاوند ومولده بالعراق وأبوه كَانَ يبيع الزجاج فلذلك يقال لَهُ القواريري، خاله أَبو الحسن سري بن المغلس السقطي (ت 257هـ) والحارث المحاسبي ومحَّمد بن علي القصاب[4]. من أعلام التصوف ، وعدَّه عدد غير قليل من العلماء في مختلف المذاهب شيخ مذهب التصوف، قال عنه الذهبي ((الإِمَامُ القُدْوَةُ المحَدِّثُ، أَبُو القَاسِمِ القَايِنِيُّ، نَزِيْلُ هَرَاةَ، وَشَيْخُ الصُّوْفِيَّةِ))[5] ، و قال المؤرخ الخطيب البغدادي أنه سمع الحديث ببغداد، ولقي العلماء، ودرس الفقه وأسند الحديث ، ثم اشتغل بالعبَّادة ولازمها حتى صار شيخ وقته، فِي علم الأحوال والكلام عَلَى لسان الصوفية، وطريقة الوعظ[6]. قال الفقيه المؤرخ ابن ابي يعلى الحنبلي((ونقل عَنْ إمامنا أشياء))، يقصد الامام أحمد بن حنبل، و ذكره في طبقات الحنابلة[1]، و قال أَبو الْقَاسِم الكعبي المتكلم المعتزلي ما رأت عيناي كَانَ الكتبة يحضرونه لألفاظه والفلاسفة لدقة مَعَانِيه والمتكلمون لعلمه))[7]،ومن أقواله ((ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدُّنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأَن التصوف هو

---

1 - النيسابوري، طبقات الصوفية، المصدر السابق،ص58.

2 - القشيري، المصدر السابق،ج1ص61 ،64 .

3 - النيسابوريين، الطبقات ، ص87.

4 - القشيري ،المصدر السابق، ج1ص 78.

5 - الذهبي ، المصدر السابق.ج15ص 73.

6 -الخطيب البغدادي المصدر السابق، ج8ص168.

7 -السبكي تاج الدين عبد (ت 771هـ):طبقات الشافعية الكبرى،ط2 ، تحقيق محمود محَّمد الطناحي وعبد الفتاح محَّمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع1413هـ. ج2ص 260.

صفاء المعاملة مع الله تعالى وأَصله العزوف عن الدّنيا)) وقوله ((عزفت نفسي عن الدُّنيا فأسهرت ليلي وأَظْمأت نهاري))[1].

ذكره الباحث عادل نويهض بأنه بلغ منزلة رفيعة بين صوفية عصره، حتى لقب. بسيد الطائفة، وطاووس الفقراء، وشيخ المشايخ، ونقل قول السلمي: "هو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة". وقال أبو القاسم الكعبي: "ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة معانيه، والمتكلمون لزمام علمه". وكلامه في الحقيقة مدون مشهور. من آثاره "أمثال القرآن"[2].

مُحَّمد بن إسماعيل المغربي عاش مائة وعشرين سنة (ت 299هـ)، قال القشيري ((لم يأكل ممّا وصلت إِليهِ يد بنِي آدم سنين كثيرة، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تَعَوَدَ أكلها))[3].

التستري سهل بن عبد الله بن يونس (200 – 283 هـ / 815 – 896 م) من الأئمة الصوفية في القرن الثالث الهجري ، صاحب كتاب في تفسير القرآن وكتاب رقائق المحبين وغير ذلك، قال عنه النيسابوري ((أحد أَئِمَّة الْقَوْم وعلمائهم والمتكلمين فِي عُلُوم الرياضات والاخلاص وعيوب الأفعال [4].

الإمام أبو بكر مُحَّمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي(ت380هـ/990م)، الحافظ الأصولي صاحب مصنفات التعرف على مذهب أهل التصوف وبحر الفوائد ومعاني الأخبار، جمع فيه 592 حديث (حديثا) [5]، وكتاب الأشفاع والأوتار ، قالي حاجي خليفة في كتاب سلم الوصول إلى طبقات الفحول ((وقبره مشهور يزار ويتبرك به لأنه كان من الكبار. روي أنه رأى رسول الله ﷺ في مبشرة رآها ﷺ أعطاه ريحانة وقال له: "فسّر حديثي ما دامت هذه طرية" فانتبه وهي في يده، فكان يُفَسِّرُ الحديث في كتابه "معاني الأخبار" المسمى بـ "بحر الفوائد" إلى أن رآها ذابلة))[6].

---

1 - النيسابوري، المصدر السابق ،ص 129 فما بعدها.

2 - عادل نويهض: معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر) الحاضر»،ط3 ،تحقيق الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان1409 هـ/ 1988 م.ج1ص ص 128،127.

3 - القشيري المصدر السابق ، ج1 ص 99.

4 - أنظر النيسابوري في طبقات الصوفية ، ص 171 فما بعدها

5 - الزركلي، المرجع السابق . ج5 ص 295.

6 - حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت1067 هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا2010 م. ج5 ص250.

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري(376-465هـ/986-1072م)، شيخ خراسان في عصره، لعلمه وزهده ويعرف بزين الإسلام: أقام بنيسابور وتوفي فيها. و قد ألف القشيري كتب (كتبا) عديدة أهمها "التيسير في التفسير أو التفسير الكبير" قال ابن خلكان ((هو من أجود التفاسير)) وكتاب " لطائف الإشارات " في التفسير أيضا" و أشهر كتبه كتاب الرسالة القشيرية[1]؛ قال المؤرخ ابن خلكان((كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة))[2].أخذ ببغداد عن المحدث محَّمد بن عبد الله بن الحسين لدَّقَّاق(ت 390 هـ / 1000 م) القاضي المتكلم أبي بكر بن الطيب الباقلاني (338 - 403 هـ /950 - 1013 م) "، وخرج إلى الحج رفقة الشيخ أبي محَّمد الجويني و الحافظ المحدث أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458 هـ /994-1066م) وجماعة من المشاهير أهل العلم ، وسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز. قال ابن خلكان ((ثم واظب دروس إمام الحرمين أبي المعالي حتى حصل طريقته في المذهب والخلاف))[3] و نقل الذهبي أنه جرى له مع الحنابلة خصام بسبب مسائل العقيدة الأشعرية وانتهى الأمر إلى فتنة بين الفريقين[4].

4. أشهر متصوفة القرنين الخامس والسادس الهجريين في المشرق.

1.4.عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني. أو الجيلي بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني(471 - 561 هـ / 1078 - 1166 م) ، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: حنبلي المذهب مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في الوعظ، وتفقه هناك، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها ، كان عبد القادر الجيلاني يأكل من عمل يده ، من مؤلفاته "الغنية لطالب طريق الحق " و " الفتح الرباني " و " فتوح الغيب " و"بالفيوضات الربانية " [5]. لازم الشيخ عبد القادر الجيلاني الانقطاع والخلوة والرياضة والمجاهدة، وصحب الشيخ حماد الدباس وأخذ عنه علم الطريقة؛ ثم إن الله تعالى أظهره للخلق وأظهر الله الحكمة في قلبه على لسانه، وظهرت علامات من الله تعالى وأمارات ولايته.

---

1 -الزركلي، المرجع السابق ، ج4 ص ص57، 58.

2 -ابن خلكان ، المصدر السابق، ج3 ص ص 205 ،206، 208.

3 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ص 208.

4 - نفس المصدر.ج3ص205 فما بعدها.

5 - الزركلي، المرجع السابق ، ج4 ص ص 47، 48.

وحدث وصنف، وله الكلام المليح في الحقيقة، فمنه قوله: ((الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك))[1]

2.4. أبو حامد محَّمد بن محَّمد بن محَّمد الغزَالي الطوسي(450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م)، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطبران (نواحي طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف[2]. من كتبه (الإحياء في علوم الدين) قرأ في الفقه ببلده على أحمد الرادكاني ، ثم انتقل إلى نيسابور فلازم الإمام أبا المعالي الجويني، وقد برع في فقه المذهب الشافعي والأصول وعلم الكلام والمنطق، والفلسفة، ، وألف في كل في هذه العلوم[3].قدم إلى حلب ، وذكر أتباعه غزارة علمه وزهده، وورعه، حجّ مرارا، منها واحدة ماشيا [4].

3.4.الحلاج، الحسين بن منصور الصوفي. (ت 309 هـ / 922 م) ، من البيضاء بفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب الشيخ الصوفي الجنيد وغيره، واختلف أهل العلم في أمره ،منهم من بجله ، ومنهم من كفره لقوله بالحلول كقوله " أنا الحق " وقوله " ما في الجبة إلا الله " وقيل أنه تراجع عنها ، كثرة تبليغ العلماء واشتهار أقواله حبس وقتل في عهد الخليفة العبَّاسي المقتدر[5].

الاستنتاج.

شكلت هذه الطائفة من الزهاد والمتصوفة في المشرق النواة الأولى للتصوف في البلاد الإسلامية مشرقا ومغربا ظهر من خلال هذا العرض أن التصوف يمتد في طبيعته السلوكية في مرحله (مرحلته) الأولى الى حياة الزهد الذي كان عليه الصحابة والتابعين ، صار التصوف مع مرور الوقت متميزا وعلما قائما بذاته عند معتنقيه، وصار له شيوخه الذين جعلتهم جماهير واسعة من المريدين قدوة في التربية الروحية .

---

1 - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله ج21 ص 127.

2 - الزركلي ، المصدر السابق ،ج7ص ص22، 23.

3 - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية ج21ص27.

4 - ابن العماد أحمد بن محَّمد العَكري الحنبلي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط،ط1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت1406 هـ - 1986 م. ج9 ص 284 .

5 - أنظر التفاصيل ابن خلكان ، المصدر السابق، ج2 ص 140 فما بعدها.

المحاضرة رقم 03 : الزهاد في إفريقية منذ القرن الثاني الهجري/10م

المقدمة

ترتبط بدايات التصوف في الغرب الإسلامي بعاملين مهمين، الأول رحلة العلماء المشارقة الى بلاد المغرب منذ بداية حركة الفتح الإسلامي والثاني رحلة المغاربة والأندلسيين الى المشرق طلبا للعلم.

لقد أسهبت كتب التراجم في جمع أعلام الزهد والورع والتصوف في بلاد المغرب والأندلس وسنعرض نماذج منها على سبيل المثال.

1.الزهاد التابعين في القرن الثاني بإفريقية.

1.1 بعض التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. يعد قدوم التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الى بلاد المغرب الخطوة الأول لنشر العلم بجوانبه العقدية والفقهية والسلوكية؛ وكان ضمن هذه البعثة عشرة من التابعين يفقهون أهل إفريقية وصفوا بأنهم من أهل الدين والفضل نذكر منهم :

أبو مسعود سعد بن مسعود التّجيبي ، قال المالكي سئل عن علامة وليّ الله عزّ وجلّ، فقال: ((من استفرغت آخرته دنياه، ومن كان الحق هواه، ولم يكن له في شيء مما يسخط الله تعالى رضاه، ومن كان الذكر قوله والعلم بغيته وفي بيوت الله عزّ وجلّ مجلسه))[1].

1 - المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. تحقيق محمد المطوي العروسي،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان1414 هـ /1994 م. ج1 ص ص 102، 103.

أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي (ت132هـ)، يقال له "تاجر الله" ، شهد له أهل العلم في زمانه أنه من أهل الزهد ، قال أحد معاصريه معن التنوخي ((ما رأيت زاهدا في هذه الأمة غير اثنين: عمر بن عبد العزيز، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي))[1].

موهب بن حَيٍّ المعافري الذي أقام بإفريقية حتّى توفي أورده المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الدباغ في كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، وقال الدباغ ((كان من فضلاء التّابعين يروي عن عبد الله بن عباس))[2].

2.1.العلماء الموصوفون بالزهد في القرن الثاني للهجرة .

البهلول بن راشد(ت183هـ) وُصف بالاجتهاد والورع وأنه كان مستجاب الدعوة، اشتغل بالعبادة **أولاً** قبل العلم [3]، من أمثلة زهده ما جاء في رياض النفوس للمالكي ((غلا السعر فأمر فبيع له، ثم أمر من يشتري له ربع قفيز ، فقيل له: «تبيع وتشتري؟ فقال: نفرح إذا فرح النَّاس، ونحزن إذا حزنوا))[4].

على بن زياد التونسي العبسي (ت183هـ) أول من أدخل موطأ الإمام مالك الى بلاد، قال أبو العرب((كَانَ ثِقَةً، مَأْمُونًا، فَقِيهًا خَيَّارًا، مُتَعَبِّدًا، بَارِعًا فِي الْفِقْهِ))[5].

أبو علي شقران بن علي الهمداني(ت 186هـ) روى عنه الإمام سحنون، قال الدباغ أنه كان "زهدا رقيق القلب غزير وصاحب كرامات، مع كثرة صلاة وصيام ، مؤاخيا للبهلول بن راشد" وكان فقيها عالما بالفرائض له فيها مؤلفات ، وصحبه جماعة من المريدين منهم ذا النون المصري.

قال أبو العرب في طبقات علماء إفريقية ((واحد الزمان عبادة وزهدا وحسون معاملة لله تعالى، وكثرة كرامات، وعلوّ همّة، وسرعة إجابة وكان ضريرا نشأ على طهارة مع كثرة صلاة وصيام. رقيق القلب غزير الدّمع، وكان ينطق بالحكمة ويردّ النَّاس إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة، انتفع به جماعة من المريدين النون المصري وغيره))[6]،

---

1 - نفس المصدر ، ج1 ص115، 116.

2 - الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي(ت 699 ه): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق عبد المجيد الخيالي،ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت 1426 ه.ج1ص190.

3 - أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 52 وعياض بن موسى اليحصبي (ت 544ه): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي،ط1 ،مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1966 - 1970 م. ج3 ص 87.

4 - المالكي، رياض النفوس ،ج1 ص 205

5 - أبو العرب ، ص ص 251، 252.

6 - نفس المصدر، ص 61 والدباغ،ج1ص ص 234-235.

إسماعيل بن رباح الجزري(ت212هـ) قَال أبو العرب أنه كان من المخبتين(الخاشع المتواضع المطمئن) ومستجاب الدّعوة[1].

3.1. زهاد الطبقة الثانية في كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم.

أبو سليمان ربيع بن عبد الله النَّاسك قال المالكي((كان من أهل الفضل والدين. تخلى عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريقة أهل الصدق في الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ، وكان كثير السياحة والتغرب عن الأوطان، وسكن)) من أقواله المأثورة ((الفقير إذا سافر يحتاج إلى أربعة أشياء: علم يحرسه، ووجد يحمله، وورع يسوسه، وذكر يؤنسه)).وقوله ((الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا)) ، وكان ينادي إذا جنه الليل ((اللهم إني أسألك بيد أضرعتها إليك ذلّة الافتقار، أن توصلني بفضلك إلى عزّ كلّ كرامة. وأنا إلهي في خناق خشيتك مأسور ، أنتظر ما يرد عليّ من فضلك ورحمتك، يا أرحم الراحمين))، سئل عن الزهد، فقال((الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا)). سئل عن الزهد، فقال: «الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرا وجهرا))[2].

أبو يزيد عبد الملك بن أبي كريمة الأنصاري ، نقل المالكي أن الفقيه المالكي سحنون قال ((كان بتونس عليّ بن زياد وابن أشرس وعبد الملك بن أبي كريمة. ولم يكن ابن أبي كريمة في ناحيتهما، وإنما كان رجلا صالحا ورعا صاحب أحاديث))، وقال غيره أنه كان يقوم الليل كله، فإذا كان السحر نادى

((إليك قطع العابدون دجى الليل بتبكير الدلج، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك. فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن ترفعني إليك درجة المقربين، وتجعلني في زمرة السابقين))، فيبقى على ذلك حتى آذان الفجر[3].

أبو عمرو بشير بن عمروس المتعبد بالمنستير. من الزهاد المنقطعين ، قال المالكي((كان من رهبان الليل لا ينام منه إلا قليلا، فإذا أصبح يقول: "أصبحت ونفسي وقلبي مصران على محبتك، مشتاقان إلى لقائك فعجّل سيدي بذلك قبل أن يأتي الليل ،أقام على هذا ستين سنة))، ونقل أنه "كانت له قريحة جيدة في العلم، وكان يحسنه، إلا أن العبادة غلبت عليه" ،وكان أمراء إفريقية يأتونه إلى بيته بالمنستير فلا يخرج إليهم، ولما حجّ ودخل الشام وطرسوس لقي جماعة من الصوفية[4].

---

1 - أبو العرب، طبقات علماء إفريقيا، ص67، 71.

2 - نفس المصدر ، ج1 ص ص 198، 199.

3 - نفس المصدر ، ج1 ص 323.

4 - المالكي ،رياض النفوس ، ج1 ص ص418، 419.

حمدون بن مجاهد الكلبي المتعبد(ت 319هـ)،قال المالكي انه كان إذا انصرف من المحراب وجد أصحابه موضع سجوده قد ابتلّ من دموعه، وزاد ((وصلّى بأصحابه التراويح في شهر رمضان، فلما كان ليلة سبع وعشرين ختم بنا ختمة وأخذ الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله عزّ وجلّ والالتجاء إليه والنَّاس خلفه يبكون ويتضرعون، فتاب إلى الله عزّ وجلّ وأناب في تلك (الليلة) نحو السبعين رجلا، فمنهم من ندم على شرب الخمر، ومنهم من كان على غير ذلك من الذنوب، فصاروا كلهم إلى التوبة النصوح بفضل نيته وجميل طويته))[1].

2. بوادر ظهور التصوف في القرن الثالث الهجري في إفريقية.

اخترت لإظهار هذا التحول التدريجي الهادئ:

أبا محمد عون بن يوسف الخزاعي (239 هـ)، قال أبو العرب((كان عون، رجلاً صالحاً، ثقة مأموناً. وكان أحمد بن خالد يعجب به. وكان يبيع الكتان في حانوت ومعه حبة شعير، إذا أعطى الدراهم، جعلها مع المثقال، وإذا أخذها جعلها مع الدراهم. حتى يعطي زائداً بحبة ويأخذ ناقصاً بحبة)) وقال الدباغ ((وكان فقيها صالحا زاهدا مأمونا)) [2].

القاضي سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت 240هـ)، قال أبو العرب" اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة والترك، لا يقبل من السلطان شيئا"[3].

من مظاهر التصوف عند القاضي عيسى بن مسكين الأفريقي(ت 295هـ) من شيوخ المالكية في بلاد المغرب وأحد علماء العهد الأغلبي وتلميذ الإمام سحنون وخليفته في القضاء بالقيروان، ما نقله القاضي عياض أنه لبس جبة صوف قديمة، مرقعة بخرقة، من كتان. وهو قاضي يركب الحمار "[4]. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء" كان ثقة ورعا عابدا مجاب الدَّعوة" ؛ ولي القضاء مكرهاً، فكانَ يستقي بالجرَّة، وَيترك التَّكلّف."[5]

---

1 - نفس المصدر ، ج2 ص ص 203، 204.

2 - أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 105. والدباغ ، المصدر السابق، ج2 ص 40.

3 - نفس المصدر ، ص 101.

4 - عياض ،ج4 ص ص331، 345.

5 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 10 ص 543.

تصوف أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون(ت 245 هـ) ، قال ابن سالم مخلوف في شجرة النور الزكية أنه أحد رجال الطريقة، وأنه كان أوحد زمانه علماً وعملاً وحالاً وأدباً، وكان من جملة من روى الموطأ عن مالك ، وعن ذي النون أخذ سهل بن عبد الله التستري . قال الذهبي نقلا عن السلمي أن ذي النون المصري كان أول من تكلم «فِي ترتيب الأحوال ، ومقامات الأَولياءِ"، واقترب بذلك بمنهج الصوفيين في علم السلوك بل يمكن عده من أول الصوفيين فأنكر عليه علماء مصر، وَهجروه ، واتهم بالزندقة بتهمة إحداثه علما لم يتكلم به السلف وتعرض للعزير من طرف أمير مصر ، فرد على هذه التهم بقوله:

ومالي سِوَى الإِطْرَاقِ وَالصَّمْتِ حِيْلَةٌ وَوَضْعِيَ كَفِّي تَحْتَ خَدِّي وَتَذْكَارِي

3.مكانة الزهاد العلمية والاجتماعية.

كان للزهاد المغاربة مكانة واحتراما في المجمع لما اتصفوا به من علو الهمة وتواضع في المعاش وإقبالهم عل الجهاد في الغزوات البحرية ومرابطتهم للثغور الأندلسية وتنزههم من مصاحبة السلطان ،وحرصهم على النصيحة ،والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وإعالة الفقراء ،والدفاع عن الضعفاء ،وتعرضهم للامتحان والابتلاء على يدي الحكام ؛ نذكر منهم البهلول بن راشد الذي لم يسكت على الوالي محمد بن مقاتل العكي الذي عزم على بيع النحاس والحديد والسلاح الى حاكم الروم فتعرض البهلول بن راشد الى شتى صور التعذيب[1]

لقد اشتغل هؤلاء العلماء الزهاد بطلب العلم وتعليمه في حلقات علم وتربية يقصدها الطلبة نذكر منها حلقات حماس بن مروان أبو القاسم حمّاس بن مروان بن سماك الهمداني القاضي الزاهد (القرن الثالث الهجري) من الفقهاء الذين تغلب عليهم "الزّهد والورع والتّقشّف" [2]، ومن مناقبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي لمظالم الحكام والسياحة في بلاد المغرب رغبة في نشر العقيدة الإسلامية في أوساط القبائل .

عُرف عن طلاب العلم المغاربة وشيوخهم إقبالهم الكبير عل الرحلة الى المشرق الإسلامي بدافع الرغبة في طلب العلم ، ونية أداء مناسك الحج وما يرافق ذلك من مجالسة الشيوخ ونظرائهم من أهل العلم في المشرق في مختلف مجالات المعرفة المتداولة في تلك الفترة منها ملاقاة أهل الزهد والتصوف، وقد سجلت المصادر أعلاما كثيرة لمغاربة ارتحلوا إلى المشرق طلبا للعلم وملاقاة شيوخ العلم منهم المالكي الذي قدم تراجم كثيرة للمرتحلين المغاربة الى المشرق في مختلف الحواضر المشرقية .

---

1 - عياض، المصدر السابق ج3 ص ص 98-101

2 - الدباغ ، معالم الايمان ، ص ص 176، 177، 178.

كان كثير من الزهاد يجتهدون في تعليم النَّاس أمور دينهم في حلقات علم يقصدها الطلاب، مثال على ذلك حلقات حماس بن مروان ، ومسافر بن سنان المالكي .

4.انضمام الزهاد للرباطات وحياتهم فيها.

أنظم الزهاد كما سبق ذكره للرباطات على طول الساحل المتوسطي لبلاد المغرب؛ أشهرها رباطات طرابلس وسوسة والمنستير ورباط شَخانِصْ بين سوسة والمنستير ورباط الحمة بين تونس وسوسة وبونة ورباط قصر الحجامين قرب قرطجنة ثم رباط قصر أبي الصقر وربط شرشال وتنس ووهران ورباطات ساحل تلمسان ؛ والى الغرب من طانجة تنتشر الرباطات أصيلا وسلا وغيرها من القواعد ؛ ورباطات داخلية مثل رباك صفاقس وتلمسان.

ميز حياة الزهاد في الرباطات البساطة فلبس كثير منهم الصوف الخشن وسكنوا البيوت المتواضعة في أثاثها وفراشها؛ وكان طعامهم خشنا كالكسرة الخبز والزيت والتمر ودقيق الشعير ؛ وكان الزهاد يداومون على قيام الليل والصيام ويفطرون على قليل من الطعام. دون التفريط في الأعمال اليومية كممارسة نشاط مهني في الفلاحة والصناعة والتدرب على فنوت القتال.

من المرابطين في المنستير أبو عمرو بشير بن عمروس المتعبد ، قال المالكي في ريا النفوس((من المتعبدين الزهاد المنقطعين إلى الله عزّ وجل، وكان من رهبان الليل لا ينام منه إلا قليلا، فإذا أصبح يقول: «أصبحت ونفسي وقلبي مصران على محبتك، مشتاقان إلى لقائك فعجّل سيدي بذلك قبل أن يأتي الليل))، أقام على هذا ستين سنة)) ونقل أن"كانت له قريحة جيدة في العلم، وكان يحسنه، إلا أن العبادة غلبت" [1].

الاستنتاج.

كان لأعداد التابعين القدمين من المشرق للاستيطان والسياحة في إفريقية وبلاد المغرب أثر بالغ الأهمية في نمو الحركة العلمية وما رافقها من اجتهاد التحلي بالزهاد والترفع عن متاع الحياة .

كان الزهد صفة ملازمة للعلماء في هذه القرون الأولى للإسلام في بلاد المغرب، وكان أغلبية زهاد بلاد إفريقية والمغرب يجمعون بين المذهب المالكي، وكانت الرباطات مقرات لكثير من الزهاد فجمعوا فيها بين الجهاد وحراسة الثغور وطلب العلم وممارسة مختلف النشاطات اليومية.

---

1 - المالكي، المصدر السابق، ج1 ص ص418، 419.

نال علماء افريقية احترام وتقدير المجتمع ورجال الدولة لما اتصفوا به من جنوح الى التقشف في الحياة والترفع عن كل ما اشتغل به عامة النَّاس وخاصتهم .

يظهر من خلال ما سبق أن بوادر انتقال بعض أهل العلم من الزهد الى التصوف ظهر في القرن الثالث الهجري فوصف بعضهم بالمتعبدين ، وفضل بعضهم لبس الثوب الخشن المرقع ، ويمكن اعتبار أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون(ت 245هـ) كان من أوائل من ظهر عليه التصوف في إفريقية ومصر.

المحاضرة رقم 04: عوامل ظهور فئة العباد والمتصوفة

المقدمة

سنقوم في هذه المحاضرة بعرض مختلف العوامل التاريخية السياسية والاجتماعية التي جعلت فئة من المجتمع خاصة من أهل العلم من تتجه الى التصوف ، كما سنناقش مختلف التأثيرات الخارجية التي يحتمل أن يكون لها دور في تشكيل الفكر الصوفي بمختلف اتجاهاته .

1.العوامل العامة لجنوح طائفة من المجتمع الى الزهد والتصوف مشرقا ومغربا.

1.1.طبيعة الإسلام التي تحث على الزهد. ترتبط ظاهرتي الزهد ثم التصوف بطبيعة الإسلام التي تحث المؤمنين على الأعمال الصالحة التي من المفترض أنها تقربهم الى مراتب الإيمان السامية حتى تصل بهم الى مرتبة الإحسان وقد تم تبيين ذلك في المحاضرة الأولى والثانية من خلال ارتباط الحياة اليومية للصحابة والتابعين بالزهد والإقبال على مختلف الطاعات .

2.1.العامل الاجتماعي. يرتبط العامل الاجتماعي بمختلف التطورات الحاصلة في المجتمع الإسلامي مشرقا و مغربا بعدما تمكن المسلمون منذ عهد الخلافة الراشدة من بسط سلطتهم عن طريق الفتوحات على أرجاء واسعة من القارتين الآسيوية و الأفريقية ، لقد انضوت تحت سلطة الدول المتعاقبة على حكم المسلمين أمم اعتنقت) الإسلام وفي نفس الوقت حافظت على كثير من عناصر بنيتها الاجتماعية و الفكرية و العقدية، وبطبيعة الحال نشأ تفاعل اجتماعي و فكري بين العرب الفاتحين و هذه الشعوب خاصة في العصر العبّاسي نتج عنه دخول عادات و سلوكات جديدة لم تألفها الأجيال الأولى من المسلمين ، فرآها البعض أنها خارجة عن سياق المجتمع المثالي الذي عاشت عليه سلف الأمة من الصحابة و التابعين ، هذه النظرة الرافضة لهذا الواقع الجديد والعجز في تغيير الواقع تجسدت عند بعض فئات المجتمع من عامة النَّاس ومن كان يطلق

عليهم تسمية العباد و العارفين و الزهاد، تسلك سبيل المقاومة السلبية التي ميزتها العزلة و الانقباض و الانقطاع للنواسك التعبدية لتزكية النفس و تصفيتها من الدواخل الظاهرة و الباطنة.

محمد بركات البتيلي يقول الباحث ((أن الاسلام جاء بالاعتدال لكن لم يلبث أن طرأت على حياة المسلمين عوامل جعلت أعدادا من أهل التقى يرون أنه لم يعد كاف لمواجهة النزعة الدنيوية التي استحكمت بالمجتمع الاسلامي ففروا بأنفسهم الى الآخرة مستزيدين كما من العبادات المشروعة ومتصاعدين بذلك الى نزعة الزهد عزوفا عن عرض الدنيا الفانية وإقبالا على الآخرة الباقية))[1].

3.1.العامل السياسي . أفرزت الفتنة الكبرى(35-41هـ) ثم استشهاد الحسين سبط النّبي ﷺ في كربلاء سنة 61هـ وما تبعها عبر التاريخ الإسلام) من صراعات ردودا في المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية تبلورت في شكل انقسامات عقدية بظهور الفرق التي كانت تختلف في مسائل العقيدة بالخصوص ،فالنقاش كان شديدا بين مختلف هذه الفرق بظهور الأشاعرة ،وأكثر شدة مع المذاهب غير السنّية كالمعتزلة والجهمية والمرجئة ومختلف فرق الشيعة والخوارج.

لقد كان هذا العراك وهذا التوتر الفكري من الأسباب الهامة التي دفعت كثيرا من المسلمين الى تفضيل العزلة الروحية كحلّ للنجاة من حدّة الصراعات السياسية والظلم السياسي والسجالات المذهبية.

عن الصحابي أبي العالية قال((لما كان قتال علي ومعاوية كنت رجلاً شابًا فتهيأت، ولبست سلاحي ثم أتيت القوم فإذا صفان لا يرى طرفاهما. قال: فتلوت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا[2] قال: فرجعت وتركتهم)) [3].

4.1.عوامل تزايد حركة الزهد والتصوف في بلاد المغرب. هي تقريبا نفس الأسباب التي سجلنها في المشرق ، يضاف إليها تأثير الهجرة المشرقية الى بلاد المغرب و ما وازاها من رحلة المغاربة الى المشرق، لقد لجأت فئة واسعة من المغاربة الى حياة الزهد والتصوف كرد فعل على ما أنكرته من فساد وظلم سياسي و اجتماعي و من الأمثلة على هذا النوع من الردود قيام نواة حركة في العهد الفاطمي في القرن 4هـ/10م قال

---

1 - محمد بركات البتيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية القاهرة 1992. ص98.

2 - سورة النساء، الآية 93.

3 - أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،(د رط) السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.ج 2 ص 219 .

عنها المؤرخ محمد بن علي الصنهاجي أنها صوفية بجبال الاوراس تزعمها رجل من القيروان جمعت حركته قبائل زواوة و صنهاجة وعجيسة فاسرع الخليفة الفاطمي العبيدي المنصور بالله لقمعها (334-341هـ/945-955م)[1] ، و هذا من لأدلة على توغل التصوف داخل إفريقية في القرن الرابع الهجري) وقد قمع الفاطميون و اتباعهم كل مظاهر التصوف خوفا من تحول اصحابها الى قوى سياسية معارضة[2].

هذا ما يفسر حسب الباحث طاهر بونابي عدم تمكن اصحاب المصادر ي القرنين الرابع والخامس الهجريين من ضبط اشكال الممارسات التعبدية ضبطا اصطلاحيا ، للتمييز بين الزهاد والمتصوفة اضافة الى تستر كثير من الزهاد والمتصوفة من اظهار ممارساتهم خوفا من الاضطهاد الفاطمي.

5.1.العامل النفسي .يجب التنبيه أن هناك جوانب النفسية شخصية ميزت طبيعة بعض النَّاس فمالوا إلى الانزواء والعزوف عن المباح، وفضلوا الزهد المفرط والاشتغال بالنواسك التعبدية وفي درجات أعلى الى العزلة والانقطاع وإنهاك الجسد رغبة منهم حسب قناعتهم أن هذا السلوك هو منفذ النجاة من المهلكات حسب ظنهم، ويمكن تفصيل هذه المؤثرات النفسية الى ما يلي:

- قابلية بعض النفوس للانعزال والميل الى الجانب الروحي والاعتقاد بأن الاتجاه الى العبادة ودعوة النَّاس الى الزهد والاهتمام بالروحيات هي النجاة من ضغوطات الحياة ونوع من أنواع رفض الواقع الذي كانوا يرونه منحرفا.
- منهم من يعبر انقطاعه عن المجتمع على نوع من العجز والفشل في مواجهة الحياة العامة بمشاكلها وصعابها ومال الى الحياة التعبد بدعوى التوكل والتقرب والورع اجتناب الخطايا والمعاصي.
- ظهر صنف من الصوفية خاصة في أواخر العصور الوسطى والعصر الحديث خرج من هذا المسعى الزهدي الصوفي الى مجال استغلال المجتمع بما يصلهم من عطاءات وهبات يدفعها إليهم المحسنون ثقة بهم حتى يوزعوها على الفقراء، لكن بعضهم وظّف هذه العطاءات لحوائجه الخاصة .

6.1. تأثير النحل الخارجية. لا نغفل عن تأثير العوامل الخارجية المتمثلة في الأفكار والمعتقدات والنحل والفلسفات الخارجية التي احتك بها المسلمون ، ويظهر أن بعض رواسبها تسرب بصور متنوعة داخل بعض

---

1 - محمد بن علي بن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، ،ط1، دار الصحوة للنشر القاهرة (د ت ن). ص65.

2 - بو نابي ص ص 97 ،98.

التوجهات الصوفية في المشرق والمغرب . فالشبهة قائمة في تأثر بعض الصوفيين والفرق الصوفية بالنحل اليهودية والنصرانية والهندية والبوذية .

- يبدو تأثير التراث اليهودي على بعض الفكر الصوفي من خلال استشهاد بعض رواد الصوفية بالروايات الإسرائيلية، نذكر على سبيل المثال استشهاد القشيري برواية إسرائيلية في باب معرفة الله جاء فيها ((قال خير النساج: قص مُوسَى بْن عمران صلوات اللَّه عَلَيْهِ عَلَى قوم قصة فزعق واحد مِنهم فانتهره مُوسَى فأوحى اللَّه تعالى إِلَيْهِ: يا مُوسَى بطيبي فاحوا وبحبي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكر عَلَى عبادي؟ وقيل: سمع الشبلي قائلا يَقُول: الخيار عشرة بدانق، فصاح وقال: إِذا كانَ الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار؟))[1].

- أما تأثير التراث النصراني فيظهر من خلال تفضيل بعض الصوفيين لبس المصنوع من الصوف ، ((روى البخاري قال : جاء عبد الكريم أبو أمية الى أبي العالية (ت93هـ) وعليه ثياب صوف فقال أبو العالية "إنما هذه ثياب الرهبان إن كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا))[2].

- في الحلية أن حماد بن أبي سليمان(يذكره ابن السعد في الطبقة الثالثة) قدم البصرة فجاءه صوفي يعرف باسم فرقد السبخي وعليه ثوب صوف ، فقال حماد ((دع عنك نصرانيتك هذه))[3].

- جاء في الحلية، قال إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: " إبراهيم بن أدهم : مررت براهب في صومعته ، والصومعة على عمود والعمود على قلة جبل ، كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته قلت : يا راهب ، فلم يجبني ، ثم ناديته ، فلم يجبني ، فقلت في الثالثة : بالذي حبسك في صومعتك إلا أجبتني ، فأخرج رأسه من صومعته ، فقال : لم تنوح ؟ سميتني باسم لم أكن له بأهل ، قلت : يا راهب ولست براهب ، إنما الراهب من رهب من ربه ، قلت : فما أنت ؟ قال : سجان ، سجنت سبعا من السباع ، قلت : ما هو ؟ قال : لساني سبع ضار إن سيبته مزق الناس ، يا حنيفي إن لله عبادا صما سمعا ، وبكما نطقا ، وعميا بصرا ، سلكوا خلال دار الظالمين ، واستوحشوا مؤانسة الجاهلين ، وشابوا ثمرة العلم بنور الإخلاص ، وقلعوا بريح اليقين حتى أرسوا بشط نور الإخلاص ، هم والله عباد كحلوا أعينهم بسهر الليل ، فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطواقهم ، يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم ، يا حنيفي عليك بطريقهم ، قلت : على

---

1 - القشيري ، المصدر السابق ، ج2 ص 217.

2 - البخاري محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): صحيح الأدب المفرد للإمام البخارين تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،ط4، دار الصديق للنشر والتوزيع1418 هـ / 1997 م. ص ص 139، 140.

3 - أبو العرب ، المصدر السابق ،ج 4 ص 421.

الإسلام أنت ؟ قال : ما أعرف غير الإسلام دينا ، ولكن عهد إلينا المسيح عليه السلام ووصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا ، وإن دينك جديد وإن خلق ، قال بقية : فما أتى على إبراهيم شهر حتى هرب من النّاس))[1].

- ومن التأثيرات المحتملة للنحلتين الهندوسية والبوذية على بعض الصوفية ما نقله الإمام الجنيد، قال ((رأيت مع أبي حفص النيسابوري رحمه الله تعالى إنسانا أصلع كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا ؟ فقيل لي : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، ويخدمنا، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستأذن مائة ألف أخرى أنفقها عليه، ما يسوِّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة))[2] ، وقال أبو يزيد البسطامي ((صحبت أبا علي السندي ، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا))[3].

يجب التنبيه الى تأثير الفكر الفلسفي على بعض التيارات الصوفية، و يظهر واضح المعالم كما سنلاحظه في تصوف دعاة الحلول و وحدة الوجود مثل ابن عربي و الحلاج وابن سبعين و غيرهم من أصحاب التصوف الفلسفي، يقول الباحث محمد شريف سيدي موسى عن الانتقال من زهد الصحابة الى التصوف ثم الى التصوف الذي خالطته المعتقدات و الفلسفات الخارجية((إن الزهد و حياة التقشف كانت كثيرة الانتشار في عهد الرسول ﷺ و في عهد خلفائه الراشدين مع السلف الصالح من أمثال الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري المتوفى سنة 32 هـ و غيرهم ، و لكن لما امتزجت الثقافات في الدولة الإسلامية من الفلسفة اليونانية و

---

1 - نفس المصدر ، ج8 ص 29 وأنظر تفاصيل إضافية عن العوامل الخارجية المؤثرة على الفكر الصوفي في كتاب خالد كبير علال :نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف،ط1، دار التوحيد للنشر المملكة العربية السعودية 1437هـ/2015م . ص ص 73- 84 .

2 - السراج الطوسي أبو نصر : اللمع في التصوف ،تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، د رط، دار الكتاب الحديثة مصر ومكتبة المثنى بغداد 1380هـ/1960م .ص 135.

3 - الحسني عبد الحي بن فخر الدين الطالبي (ات1341هـ/1922م): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)،ط01، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، 1420 هـ، 1999م.ج1ص 53.

النصرانية و الزرادشتية ، أصبح هذا الزهد و هذا الحب الإلهي فيه تفلسف و تسربت تعاليمه إلى التصوف))[1].

الاستنتاج.

كان للظروف السياسة من فتن داخلية وظلم سياسي وجنوح فئات من المجمع الى الحياة السهلة وميوعة دور في نمو التيار الزهدي في المجتمع الإسلامي.

تأثرت فرق صوفية عديدة بالأفكار المستوردة، فظهرت أثار هذه الأفكار على مناهج بعض التيارات الصوفية وسلوكات مريديها.

1 - محمد الشريف سيدي موسى: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6 هـ/ 10 هـ/ 16/12م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1430-1431هـ/2010-2009م. ص ص143، 144.

المحاضرة رقم 05 : الزهد عند الإباضية في بلاد المغرب

المقدمة

سنناقش في هذه المحاضرة النموذج الزهدي الإباضي في المغرب الأوسط وتطوره منذ نشأة الإباضية مرور ا على فترة الدعوة لإنشاء الدولة ثم مرحلة ما بعد الدولة الرستمية ، سنتعرض الى أهم الأعلام الإباضين الذين تحلوا بصفات الزهاد .

1.الزهد عند الإباضية قبل تأسيس الدولة الرستمية.

اقتدى الزهاد الإباضين في المغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية بما كان عليه شيوخهم المشارقة الذين اقترنت حياتهم اليومية بنمط معيشي وسلوكي يتميز بالتقشف والإقبال على نوافل العبادات ، ولقد واضب شيوخ الإباضية على سلوك منهج الزهاد ولم يختلفوا عما كان عليه زهاد أهل السنّة.

فمنهم في الطبقة الأولى للدرجيني في كتابه "طبقات المشائخ بالمغرب" حرقوص بن زهير السعدي من أمراء الأجناد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومن الذين أبوا تحكيم الحكمين في صفين، نسبه المؤرخ الدرجيني الى أهل النسك والعبادة والتقشف والزهادة[1] ،

من الطبقة الثانية(50-100هـ) ذكر المؤرخ الدرجيني جابر بن زيد الأزدي أنّه كان على مقام عال في العلم والكرامات[2] وأبو بلال مرداس و عروة ابنا أدية بلغا مراتب الورع و الديانة و العلم والخوف و الخشية من الله و عمران بن حطان الشاري كان في "نهاية الورع، و الصلاح و ترك الدنيا" و جعفر بن السماك "شيخ

1 - الدرجيني أحمد بن سعيد (ت 670هـ): طبقات المشائخ بالمغرب،ط1 ، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة 1394هـ/1974م . ج1 ص 202.

2 - نفس المصدر ،ج1 ص 205.

الصيانة و النزاهة ، و ركن الديانة و الفقاهة" ، وصحار بن العبدي جعله الدرجيني من الزهاد فقال ((كان أحد الزهاد و أحد الزاهدين عن معتقد فاسدي العقائد – يقصد مخالفي الاباضية في الأصول–)) ،و قريب و زحاف ابنا مالك وصفهما بالمتبتلين للعبادة[1] ، و في الطبقة الثالثة(100–150هـ)،و من الائمة المشارقة(100–150هـ) المواظبون على حياة الزهد أبو عبيدة مسلم قال ((كان عالما مع الزهد في الدنيا))[2] .

2.الزهد الإباضي في عهد الدولة الرستمية.

واصل الأئمة الرستميون العيش على طريقة أسلفهم من الشيوخ على حياة الزهد ، ومن الأمثلة التي نسردها عن زهد الإمام عبد الرحمن بن رستم أنه و لما وصل رسل إباضية المشرق الى تيهرت قال المؤرخ بن الصغير أن الإمام ابن رستم نزل إليهم من سطح داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة ولما دخل عليه القوم وجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد و ليس في بيته شيء سوى و سادته التي ينام عليها و سيفه و رمحه و فرسه مربوطة في ناحية داره[3]، نضيف من أمثلة زهد الأمراء الرستميين ما نقله ابن صغير عن حياة الإمام يعقوب بن أفلح فيقول ((كان يعقوب بن أفلح بعيد الهمة نزيه النفس ما جس بيده دينارا و لا درهم، و كان إذا أتى وكيله بغلاته و أراد اخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده ... و كان إذا سافر و نزل بقوم لا يأكل لهم طعاما))[4] .

من المشائخ الزهاد الإباضين أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني وصفه الدرجيني بالورع و " إطراح الحرص على الدنيا "، و إباضي يعرف بأبي مرداس مهاصر ، قال الدرجيني أنه رأى خطأ من غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك لكثرة اجتهاده، وأبو ميمون الجطالي من جبل نفوسة قال عنه ادرجيني ((ممن له في الآخرة رغبة و ترغيب و لم يكن له في دنياه أكثر نصيب و كان ذا جد في العلم و الاجتهاد و سعي في العبادة))، و في جبل نفوسة كذلك أبو المنيب محمد بن يانس وصفه بالمجاهد لنفسه ذو الدعوات المجابة والخشوع و الإنابة و صاحب "كرامات تضاهي المعجزات"[5]، ونقل الدرجيني " أنه إذا مضى الى غار يتعبد فيه يعد زادا قليلا فيلبث في الغار المدة الطويلة التي يفنى في بعضها أضعاف ذلك الزاد حتى ساء الظن بامرأته

---

1 - نفس المصدر ، ج1 ص ص 214 ،222، 232 .

2 - نفس المصدر ، ج1ص238

3 - ابن الصغير(القرن 3 هجري) أخبار الأمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بهاز، د رط، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان (د ت ن).ص29

4 - نفس المصدر ، ص98.

5 - الدرجيني، المصدر السابق ، ج1ص 294.

وحسبت أنه تزوج غيرها"[1] ، ومن الطبقة السادسة ذكر الإمامين محمد بن أفلح وعمروس بن فتح " لم تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلوم[2].

من الزهاد الإباضيين الذين يذكرهم الدرجيني أبو مرداس مهاصر من الطبقة الخامسة (200-250هـ) "كان ممن بلغ أعلي العلوم قال عنه ((وجرى في أمر الصلاح إلى أقصى غاية وكان قانعا بالخمول معتمدا على أن ما عدا أمر المعاد فضول))، ويروى أنه رأى امرأة خطأ من غير قصد مكشوفة الرأس فصام سنة[3].

منهم أبو المنيب محمد بن يانس وصفه الدرجيني بأنه كان مستجاب الدعاء صاحب خشوع و انابة و كرامات تضاهي المعجزات، و كان له سبعة مساجد بعضها في الجبل وبعضها في السهل ، فلا تفوته الصلاةفي المسجد وهو شيخ كبير، و كان يمضي الى غار يتعبد فيه يأخذ معه زاده و يمكث وقتا طويلا [4].

منهم أبومصهر موسى بن جعفر قال عنه الدرجيني ((شيخ النسك و التبدل و المكرم بالدعاء و المستجاب والمتقبل، رفض شهوات النفس و باعدها ...ازدرى أهل الدنيا وهم يرون أن قد ازدروه ، و باع حظه منها حين بذلوا فيها نفائسهم و اشتروهن و تحقق ان من اشترى الدنيا غبن ، و جاء عليه الدرك ، فمن عرف ما طلب هان عليه ما ترك و ما هو في تحصيل العلوم بذي تقصير ، و لا باعه فيها بقصير ،الا أن النسك أغلب عليه والمجاهدة أقوى يقينه))[5].

و منهم أبو عثمان المزاتي الدكمي في جبل نفوسة قال عنه الدرجيني ((ذو الاثار والسخاء و كرمات الاولياء و المفزع اليه لاستجابة الدعاء ، المقصود في الشدة و الرخاء و سلك في النسك و الزهد أنهج المسالكن و تحرى جهده فيما يبعده عن المهالك ن أما العلم ف ليس هو هنالك))[6].

و منهم أبو زكريا يحي بن يونس من أهل الورع و الزهد ، ذُكر أنه "كان من عادته إذا صلى صلاة المغرب وصل بينها و بين صباة العشاء بالركوع و السجود، يصلي العشاءثم ينفل ما اعتاد التنفل ثم يوتر ثم يحتاط لجميع الصلوات"[7].

---

1 - نفس المصدر، ج1 ص 299.

2 - نفس المصدر ، ج1ص .320

3 - نفس المصدر ، ج1ص ص 291، 292.

4 - نفس المصدر ، ج1ص ص296، 298، 299.

5 - نفس المصدر ، ج1ص ص 305، 306.

6 - نفس المصدر ، ج1ص308.

7 - نفس المصدر ، ج1ص 317

3.الزهد الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ وقيام الدولة الفاطمية العبيدية ثم العهد الزيري منذ361هـ.

استمرت حركة التصوف عند الإباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ، وهي ظروف لا شك أنها كانت صعبة ميزّها ظهور دولة جديدة مسيطرة ومعادية للمذهب الإباضي والسنّي كذلك .

1.3. الزهاد الإباضية من الطبقة الخامسة حسب المؤرخ الدرجيني . عانى زهاد الطبقة الخامسة و من تلاهم من ويلات الفتن و المحن حسب المؤرخ الدرجيني يقول ((هم الذين تجرعوا أفاوق الغصص رغما ن و تبدلوا بعد راحة الانفس غما ،و صاروا بعد صفو العيش الى كدره و كل ذلك بقضاء الله و قدره))[1]، و المقصود بالفتن الصراعات الداخلية و دخولهم في حرب مع الإسماعليين الشيعة و من ناصرهم من قبائل صنهاجة ثم بعد سقوط الدولة الرستمية .

أمام مضايقات الشيعة الإسماعيلية و ثم امتداد المد السنّي بعد ذلك، يظهر على الإباضيين اتجاه نحو الانغلاق على الذات و الانقطاع خطوات تحميم من الاندثار بإبتكار برنامج شامل للتربية يقوم على ما عرف بالعزابة يخضع له.

2.3. الزهاد الإباضيون من الطبقة السابعة. ممن اتصفوا بالورع والزهد من الطبقة السابعة(300–350هـ). أبو صالح جنون بن يمريان من ورجلان قال عنه((ذو الورع والسخاء و البركات صالح الدعاء و هو أحد ابدال و أصحاب الكرامات و الأحوال و أحد اقطاب الدين))[2] ، والشيخ أبو سهل الفارسي يقول الدرجيني ((الغالب من أحواله همل الدموع و التلهف على فائت ليس له رجوع ، فجعل هجيراه مراثى الدين و أهله و البكاء عليه بوابل الدمع...و قد أعجز المراثي بما أوعظ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع وأوفر حظ"، ونقل الدرجيني أن رجلا من العرب انتهى الى موضع بمرسى الخرز و قيل مرسى الدجّاج بجزائر بني مزغنان فطلب منه أن ينتظم للبربر كلاما بلغتهم فيه وعظ و تذكير و تخويف[3].

3.3. الطبقة الثامنة. منذ العهد الزيري والحمادي ثم الموحدي الطبقة الثامنة(350–400هـ). أبو صالح الياجراني قال الدرجيني أنه ((كان أعبد العباد و أزهد الزهاد ...لا يكترث إلا بخدمة ربه، و لا يعمل لشيء

---

1 - نفس المصدر ، ج1ص 319.

2 - نفس المصدر، ج1ص341 ،342

3 - نفس المصدر ، ج1ص ص351، 352.

غير حبه حتى خصّه بالكرامات التي خصّ بها الأولياء))، و ذكر أن أبا صالح كان ينتقل في كل ليلة في جميع مساجد ورجلان كلما أتى مسجدا ركع ما شاء الله أن يركع، و نسبت له كرامات أنه أتى ليلا الى الغار الذي هو مصلاه يسرج له سرجان أحدهما عن يمينه في الجانب الغربي و الآخر عن شماله في الجانب الشرقي و الا يعلم يسرجهما له[1] ، و ذكر أن أبا صالح كان ينتقل في كل ليلة في جميع مساجد ورجلان كلما أتى مسجدا ركع ما شاء الله أن يركع، و نسبت له كرامات أنه أتى ليلا الى الغار الذي هو مصلاه يسرج له سرجان أحدهما عن يمينه في الجانب الغربي و الآخر عن شماله في الجانب الشرقي و الا يعلم يسرجهما له[2] .

4.3.من الطبقة التاسعة(400–450هـ). أبو العباس أحمد الوليلي قال الدرجيني أنه ممن رزق على العبادة والطاعة طاقة ، وكان صاحب كرامات معروف عنه القناعة والاقتصاد في المعيشة ، صادف صعوده الجبل شهر رمضان فلزم الى الربوة فاعتكف فيها، وخالطت سيرته بعض ما نُسب له من كرامات منها نزول حور العين عليه من الجنة[3]، وأضاف المحقق إبراهيم طلاي أن قبره في ميزاب في جبل أبي العباس ومصلاه معروف يقصد للدعاء والتبرك[4].

5.3. ومن الطبقة العاشرة (450–500هـ). عبد الرحمن بن معلى قال الدرجيني ((أول من أسس بمسجد تقورت الحلقة وأنهج طرقها ، وأحكم عقودها و أورثها ، و قيدها و وقتها و حجر على تلاميذته أزقتها و قسط موازينها/ و حقق قوانينها))[5].

وآخر من نذكرهم من الزهاد الإباضيين في الطبقة **الثانية عشر للدرجيني**(550-600هـ) يوسف بن سدميمان معدود حسب الدرجيني من "القوامين بالليل الصوامين بالقيل والداعين المستجابين المصيبين ، والصابرين وإن كانوا مصابين"، كان آخر أشياخ الدعوة بقرى تقيوس من بلاد قسطيلية[6].

4.ظهور العزابة في القرن الخامس الهجري ومدى اقترابها من مناهج المتصوفة .

يعود نشأة العزابة الى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي يقول الشماخي في تعريف محمد بن بكر(عاش بين النصف الثاني من القرن الرابع الهجري /10م والنصف الأول من القرن الخامس)، قال

---

1 - نفس المصدر ، ج1 ص ص 372، 373

2 - نفس المصدر ، ج1 ص ص 372، 373

3 - أنظر الملحق رقم وصفحات 446، 447، 448.

4 - أنظر هامش صفحة 446.

5 - الدرجيني ، المصدر السابق، ج1 ص457.

6 -نفس المصدر ،ص 552.

الشماخي ((ومنهم أبو عبد الله محمد بن بكر رحمهما الله ...أقامه الاباضية مقام الامام في جميع الأمور والاحكام ، وأسس لهم قواعد السيرة)) [1] ، وأبو عبد الله محمد بن بكر جعلهم الدرجيني ممن اشتملت عليه الخمسون الأولى من المئة الخامسة للهجرة ومنها ابتداء العزابة [2]

1.4. أصل كلمة العزابة، هي مشتقة من لفظ العزوب عن زخارف الدنيا وملذاتها، وظف المؤرخ الدرجيني لفظ العزابي لقبا لكل الأعلام الإباضيين الذين لازموا طريق شيوخ المذهب و سعوا في طلب العلم و سير أهل الإيمان و سار على منهجهم ، يقول ((فإن حصل جميع هذه الصفات سمي عزابيا ...و ان حصل العلم دون السير و العمل بها والمحافظة عليها لم يسمى بهذا الاسم، و اعلم أن لهذا الصنف سيما انفردوا بها و أحوالا عرفوا بها لا يتفضّل عليهم فيها سواهم و ذلك في تسميتهم و خطابهم و مؤاكلتهم ولباسهم و أوقات نومهم و قيامهم و أورادهم و عبادتهم ، و عندهم في ذلك قوانين و يعتدونها وحدود لا يتعدونها، و هدا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء ...و أول ما استعمل هذا اللقب في أيام أبي عبد الله محمد بن بكر (رضي الله عنه)لما أسس الحلقة و رتب قوانينها)) [3].

2.4.الحلقة. هو اسم الجماعة التي تضم الشيخ المعلم والجماعة الإباضية التي تتلقى التلقين من الشيخ ، والتلميذ هو اسم الفرد المبتدأ في الحلقة ومرادفتها كلمات المجتمع والجمع والميعاد.

3.4.الختمة عند الإباضيين هو اجتماعهم لذكر الله و الدعاء عند طلوع الشمس و عند غروبها بحضور شيخ أو بغير شيخ ، و بهاتين الجلستين يختم الحاضرون بالأولى عمل الليل و بالثانية عمل النَّهار ، يجتمع فيهما أعضاء الحلقة حول الشيخ يعضهم ويذكرهم يومي الاثنين و الخميس، و في أي وقت دعت إليه الحاجة بالليل أو النهار، وأول من رتب هذا الاجتماع عند الإباضية رجل من الشراة يعرف بأبي الحر علي بن الحصين العنبيري (عاش في أوائل القرن الثاني للهجرة جنوب الجزيرة العربية، ومن قوانين الحلقة الهجران في حال المخالفة مدتها على قدر الخطيئة من بعض السويعات إلى أيام أو أشهر أو سنوات [4]. ومن شروطها الكتمان ثم الظهور مع تولية إمام عادل وولاية الدفاع وهي أن يولي أهل الكتمان ، من يدفع عنهم عدوهم [5].

---

1 - الشماخي أحمد بن سعيد : تحقيق أحمد سعود السيالي،ط2، وزارة شؤون التراث القومي والثقافة سلطنة عمان 1412هـ/1992م. ج2ص61.

2 - الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1ص ص 8، 9

3 - نفس المصدر ، ج1 ص ص 3، 4 ،5.

4 - نفسه.

5 - نفسه.

يشبه نظام العزابة في بعض قوانينه ومناهجه في التربية والتزكية بعض ما كان عليه الصوفية من انفصال وانقطاع وخضوع لطريقة مبرمجة للتربة والتنسك تزكية للنفس، ولكنه في نفس الوقت أداة سياسية للحفاظ على الذات والانتماء المذهبي لما حاصرتهم الظروف السياسية، في انتظار بعث الإمامة والظهور من جديد بعد مرحلة الكتمان .

الاستنتاج.

قامت الدولة الرستمية على منهاج الأئمة الإباضيين في سلوك حياة الزهد ، يقول الباحث طاهر بونابي أن الأئمة الرستمية حرصوا على تثبيت الزهد كأحد الدعائم الأساسية لإنجاح دعوتهم الخارجية " مما يوضح التلازم بين ظاهرة الزهد وتكوين الدولة "[1].

لم تستعمل كتب التراجم الإباضية مصطلح التصوف واكتفت بأوصاف الزهد والورع ربما للمحافظة على التميز عن التصوف الذي سيعم بلاد الغرب الإسلامي

إن ترجمتهم لأئمتهم يشبه ما كان يصف به أصحاب لتراجم السنّية المتصوفة نذكر على سبيل المثال ما وصف به الدرجيني بعض كرامات الزهاد الإباضيين التي شبهها بالمعجزات.

لم يصل نظام العزابة الى ما اتصفت به التيارات الصوفية من نزوع الى الفكر الفلسفي والتأويل الباطني بل حافظت على منابعها العريقة في الزهد، وإن أخذ نظام العزابة بعض ملامح التصوف من خلال إخضاع الجماعة للشيخ والانضباط على الطريقة التي يرسمها في التنسك والتعبد ،مع ارتباط هذا التنظيم بمشروع سياسي يهدف إلى إعادة بعث الإمامة الإباضية.

1 بو نابي ، المرجع السابق،ج1ص85.

المحاضرة رقم 06 : الزهد والزهاد في الأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجريين

المقدمة

سنسير في هذه المحاضرة على نفس الطريقة التي عرضنا فيها تطور الحياة الزهدية في المشرق ثم في بلاد المغرب، معرفين بأوائل الزهاد في الأندلس ومبينين أن السلوك الزهدي لأوائل الاندلسيين بقي على منهج ما كانت عليه الأجيال الأولى من المسلمين في المشرق والمغرب.

1. أوائل الزهاد في الأندلس المرتحلين إليها.

اتصف كثير من الذين حلوا بالأندلس بعد الفتح بصفات الزهد والورع والمواظبة على العبادات مع الإقبال على الجهاد وطلب العلم وكسب الرزق.

لقد كانت هذه الأرض الجديدة دار حرب في ثغورها الشمالية فالقادمون منهم من بلاد المغرب وبلاد المشرق كثير منهم كانوا من المجاهدين المتطوعين والمرابطين والعلماء المرابطين .

كانت سيرة هذه الأجيال الأولى من المجاهدين والمرابطين والعلماء تقتفي أثر ما كانت عليه أجيال المسلمين الأولى في المشرق من زهد في المعيشة والتعبد والتنسك .

نذكر من الأجيال الأولى لهذه الفئة الزاهدة والعالمة والمجاهدة: النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي (استشهد في أواخر القرن الأول هجري/7م أيام الخليفة سليمان بن عبد الملك) سكن برقة هو وأخوه ثم قدم الاندلس للجهاد واستشهد في الثغر الشمالي ، كان من أزهد النَّاس وعرف عنه الإقبال على إنفاق ما يعطى

من مغانم وفيئ حتى لا يبقى معه ثوب ولا إزار ، ولما سئل عن حاجته ردّ((حاجتي أن تردني إلى ثغري، ولا تسألني عن شيء)) [1].

بَقِّي بن مَخلدَ الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ (ت 276هـ) جاء في الصلة لابن بشكوال ((كان في غاية من الانقباض والتصاون))[2]،والانقباض الانقطاع عن النَّاس و التصاون هو التشدد في صِيانةَ النفس من الذنوب و كل ما يُخِلُ بها ، نقل المؤرخ المحدث شمس الدين الذهبي عن ابن حزم قوله((كان بقي ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي))، وذُكر عنه إقباله على النوافل و أنه كان مجاب الدعوة، و استجابة الدعوة من المناقب التي ما يلحقها أصحاب التراجم بأهل الزهد و الورع ، و نسبوا له إنه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم و مع زهده لم يكن ينقطع عن الغزو، فأحصى له الذهبي سبعين غزوة [3] .

2. الزهاد الاندلسيون والرحلة الى بلاد المغرب والمشرق .

نذكر منهم زِياد بن عبد الرَّحمن اللخمي المعرُوف بزياد شَبْطون(ت 204هـ)، خرج من الأندلس الى المشرق لما عزم الأمير هِشام بن الحكم توليته القضاء، فمدحه الأمير بقوله ((صحبت النَّاس وبَلَوتهم فما رَأيت رجلاً يُسِرّ من الزُّهد أكثَر ممَّا يُظهِر إلاَّ زِيَاد بن عَبد الرَّحمن)) وكان من الاندلسيين الذين سمعوا الإمام مالك بالمدينة [4].

عِيسَى بن دِينار بن وَاقِد الطليطلي القرطبي (ت 212هـ)،رحل الى المشرق ولقي محَّمد ابن القاسم وروى عنه الموطأ، وصفه ابن الفرضي بالعابد الفاضل الورع وكان النَّاس يرون أنه مجاب الدَّعوة[5].

1- ابن الفرضي عبد الله بن محَّمد(ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1408 هـ - 1988 م. ج2 ص155.

2 - ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني،ط2، مكتبة الخانجي1374 هـ - 1955 م، ص 55.

3 - الذهبي، تذكرة الحفاظ،ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،1419هـ/ 1998م .ج2 ص152.

4 -ابن الفرضي، المصدر السابق ،ج1ص ص183،182.

5 - نفس المصدر ، ج1ص 373، 374.

عبد الملك بن الحسن المعروف بن زونان القرطبي(ت 232هـ)، قال القاضي عياض أنه سمع في رحلته الى المشرق من أشهب بن عبد العزيز ومحَّمد القاسم ابن القاسم من تلاميذ الإمام مالك، ونقل القاضي عياض أنه كان فقيهاً و قد غلب عليه الزهد[1].

من كبار زهاد القرن الثالث الهجري محَّمد بن وضّاح بن بُزِيغ مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية القرطبي(ت 286هـ)؛ رحل إلى المشرق رحلتين لقي فيهما الحافظ يحي بن معين، والإمام أحمد بن حنبل، قال ابن الفرضي أن رحلته الأولى إلى المشرق كانت رغبة في ملاقاة الزهاد والعبَّاد، وفي رحلته الثانية سمع كثيرا من المكيّين والشّامِيّين، والمصريّين، والقرويّين منهم الامام سحنون وأضاف ابن الفرضي ((وكان محَّمد بن وضَّاح عالماً بالحديث... كثير الحكاية عن العبَّاد، ورعاً وزاهداً، فقيراً متعففاً)).

كان اهتمام محَّمد بن وضاح بالزهد أكثر رغم أنه وُصف بأنه من أهل الفقه و الحديث قال ابن الفرضي((ولم يكن مذهبه في رحلته هذه طلب الحديث، وإنما كن شأنه الزهد، وطلب العبَّاد، ولو سمع في رحلته هذه لكان أرفع أهل زمانه درجة، وأعلاهم إسناداً)) [2]، له تصانيف في الفقه و الحديث والزهد له كتاب "العبَّاد والعوابد[3]؛ و التف حول ابن وضاح أعداد من طلبة العلم و الراغبين في الزهد منهم أبو القاسم أصبغ ابن مالك صحب ابن وضاح(ت304هـ) أربعين سنة و عثمان بن سعيد بن عثمان الأعناقي (ت305هـ)، يقول الباحث محَّمد بركات ((و قد تضافرت جهود ابن وضاح مع جهود غيرهم من زهاد الاندلس لتنتشر نزعة الزهد في الأندلس حتى فشت في القرن في القرن الرابع الهجري الذي عجّ ليبدو أكثر القرون امتلاء بالزهاد))[4].

من المرتحلين الى المشرق هارون بن سالم القرطبي(ت238هـ) روى عن أشهب ابن عبد العزيز و روى وسمع من أصبغ بن الفَرج وسحنون بن سعِيد و غيره من المالكية ؛ نقل ابن الفرضي أنه كان زاهدا وكان مُجاب الدّعوة ، والعبَّادة كانت تغلب عليه، ودعوته مستجابة[5]، ويحي بن زكريا بن يحي الثَّقفي القرطبي، المعروف بابن الشّامّة (ت298هـ)رحل للحج عام 290هـ فسمع من فقهاء مكَّة و مصر ، و قال ابن الفرضي

---

1 - عياض، المصدر السابق ،ج4 ص ص 111، 112

2 - ابن الفرضي، المصدر السابق،ج2ص17

3 - الزركلي، المرجع السابق، ج7 ص 133.

4 - بركات ، المرجع السابق، ص ص 149، 150.

5 - نفس المصدر، ج2 ص 166.

((كان عَابِدا صوَّاما))[1]، ومحَّمد بن أحمد بن عبد الملك المعروف بابن الزَرَّاد القرطبي(ت304هـ أو جمادي305هـ)، رحل حاجا، وقال ابن الفرضي أن تحصيله كان يسيرا وكان الزهد وأعمال الحسبة، وأَخبار العبَّاد أغلب عليه من العلم[2]، وأحمد بن محَّمد بن الرُّوميّ القرطبي (ت قبل 270هـ)،سمع في رحلته إلى المشرقِ الزاهد الحنبلي ابراهيم بن عبدِ اللَّهِ بن الجنيد صاحب كتاب "الزُّهد و الرقائق"[3]،

يعد محَّمد بن أصبَغ بن لبيب من أهل أستِجَة(ت227أو 228هـ) أول من خاض في التصوف الباطني يقول ابن الفرضي ((وكان يتكلم في مذاهب العلم الباطني))، ولم يبين ابن الفرضي محتوى تفسيره الباطني، كانت لمحَّمد بن أصبغ رحلة إلى المشرق فسمع بمكة، ولما انصرف الى الأندلس لزم حياة الزهد والعبَّادة[4].

الاستنتاج.

قدم الى الأندلس أعداد كبيرة من أهل العلم والمجاهدين وقد اتصف هؤلاء القادمين بصفات المتعبدين من ورع وتقوى وتقشف في المعاش وطلب علم وجهاد في الثغور

كانت الرحلة الى المشرق من أهم مصادر التكوين العلمي للأندلسيين في هذا القرن الثاني من الهجرة ، ولا نشك بأن طلبة العلم الأندلسيين قد اقتدوا بشيوخهم المشارقة والمغاربة في القيروان خاصة في ملازمة الزهد .

يجب القول أن وسط هذا الزخم من الزهاد ظهر في القرن الثالث للهجرة تيار المدرسة المسرجة التي سنتعرض لها لاحقا ان شاء الله .

---

1 - نفس المصدر ،ج2ص183.

2 - نفس المصدر ،ج2ص27.

3 - نفس المصدر ،ج1ص 40 وابن أبي يعلى أبو الحسين ، محَّمد بن محَّمد (ت 526هـ) : طبقات الحنابلة ،تحقيق محَّمد حامد الفقي ،(د ر ط) ، دار المعرفة بيروت (د ت ن).ج1ص96.

4- ابن الفرضي ، المصدر السابق، ج2ص ص50 ،51.

المحاضرة رقم 07 : من الزهد الى التصوف في الأندلس(في القرنين الرابع والخامس الهجريين)

المقدمة .

سنستمر في عرض تطور حياة الزهاد والمتصوفة في بلاد الأندلس في الفترة الممتدة من القرن الرابع الى القرن السابع الهجريين، معرفين بالزهاد ، ثم بالزهاد الذين ظهرت فيهم بعض مظاهر التصوف وفي خطوة ثالثة من صنفتهم المصادر في فئة المتصوفة.

يجب الاشارة بداية أن هذه الفترة ميزها عدم الاستقرار بسبب الفتن الداخلية في مطلع القرن الرابع وحرب الاستنزاف مع الممالك المسيحية وما رافق هذه الظروف من تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، سنترك عرض المدارس ذات التوجه الكلامي والفلسفي الباطني التي سنخصص لها ما سيأتي من المحاضرات .

1.تصاعد التيار الزهدي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

بقي كثير من الزهاد الأندلسيين على منهج الصحابة والتابعين في التزامهم بأعمال "تزكية و تصفية الروح" و المشاركة في الأعمال العامة للمجتمع ، نذكر منهم المحدث عبد الله بن محَّمد بن القاسِم بن حزم بن خلف الثّغريّ(ت 383هـ) كان أقرب الى زهد التابعين حتى شُبِّه بسفيان الثوري ،كانت له رحلة إلى المشرق فسمع بالبصرة وبغداد العلل لابن حنبل ؛ و مسند أحمد بن حنبل وغيرها من المصنفات وسمع بالكوفة، والشّام ومصر، ولما انصرف إلى الأندلس لزم حياة الزهد و الجهاد في الثغور، قال ابن الفرضي ((فَقيِهاً فاضلا، دَيّناً وَرِعاً، صَليباً في الحق، لا يخاف في الله لومة لائمٍ. ما كُنّا نُشبّهه إلاّ بسفيان الثّوري في زمانه))[1]، وفي نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذُنَين الصَّدفي الطليطلي (ت 424هـ) ، رحل مع أبيه حاجا سنة 381هـ فلقي أهل العلم بمكة والقيروان ،وصفه ابن بشكوال بالعالم المتقيد

1 - ابن الفرضي، المصدر السابق ،ج1ص ص 285، 286

بالزاهد السنّي الذي يتبرك به النَّاس بلقائه، قال ابن بشكوال ((كان خيرا فاضلا، زاهدا عابدا، مجتهدا دينا، متواضعا ورعا، سنيا عالما عاملا، ويقال إنه كان مجاب الدعوة. وكان الأغلب عليه الرواية والتقييد وقراءة الآثار والعمل بها...وكان النَّاس يتبركون بلقائه)) و أضاف "أن جل علمه كان قراءة كتب الزهد وروايتها وشيء من كتب الحديث[1] ، و أحمد بن محَّمد بن عبد الله المعافري المقرئ الطلمنكي (ت 429هـ)، رحل فحج ولقي أهل العلم بمكة والمدينة ومصر ودمياط والقيروان، قال ابن بشكوال أنه كان مظهرا للكرامات[2]، وحماد "الزاهد" بن عمار بن هاشم القرطبي (ت431هـ)، وكانت له رحلة الى الحج و إفريقية[3]، وأحمد بن محَّمد بن عمر الصّدفي(ت 450هـ) وصفه ابن بشكوال بالزاهد فقال ((رحل حاجا، وكان من أهل العلم، والعمل وترك الدنيا، صواما قواما، منقبضا، عن النَّاس، فارا بدينه، ملازما لثغور المسلمين))[4]، وممن حلّ من بلاد المغرب بالأندلس وجمع بين الفقه المالكي و الزهد، أبو جعفر بن مخلوف المسيلي الخياط (ت393هـ) وُصِف بالزهد و الورع، رابط في الثغور الأندلسية أعواماً كثيرة مُجاهداً ،قال المؤرخ ابن الفرضي ((وكان: مَنسُوباً إلى البأس)) أي الشدة و القوة في الحروب[5].

ظهر وسط الزهاد الأندلسيين من برزت في سلوكهم بعض مظاهر التصوف دون أن يوصفوا بالمتصوفة كالانقطاع وعدم مخالطة النّاس، نذكر منهم المحدث الزاهد أحمد بن يحي القرطبي (ت343هـ)، قال ابن الفرضي أنه كان منقطعا وناسكاً متبتّلا[6]، و من كبار الزهاد في النصف الأول من القرن الرابع الهجري الزاهد وهب عبد الرحمن العبَّاسي(ت 344هـ)، قال ابن سعيد المغربي ((كانَ منقطع القرين فِي الزهد والورع مجاب الدعوة مقبولا فِي النَّاس لا يكلم أحدا ولا يجالسه)) ، وأضاف أن أَكثر وقته يقضيه مفكرا وجهه على ركبته ثمَّ يرفع رَأسه فيقول :

أَنَا فِي حَالَتِي الَّـــتِي قَدْ تَرَانِي أَحْسَنَ النَّاسِ إِنَّ تَفَكَّرَتْ حَالاَ

مَنْزِلِي حَيْثُ شِئْتُ مِنْ مُتَـــقِّرْ اَلْأَرْض أَسْقَى مِنْ اَلمِيَـاهِ زُلَالاَ

1 -ابن بشكوال، ص ص 257، 258.

2 -ابن بشكوال، ص ص48، 49.

3 -ابن بشكوال، ص ص154، 156،155

4 -ابن بشكوال، ص ص 61، 62.

5 - نفس المصدر، ج1ص77.

6 - ابن الفرضي، المصدر السابق،ج1ص50.

لَيْسَ لِي كسْوَةٌ أَخَافَ عَلَيْهَـــا مِنْ مُغَيِّرٍ وَلَا تَرَى لِي مَـــالاَ

أَجْعَلُ اَلسَّاعِد اليَمِين وَسَادِي ثُمَّ أَثْنَى إِذَا اِنْقَلَبَتْ الشَّمَـــالاَ

قَدْ تَلَذَّذَتُ حِقْبَة بِأُمُـــــــورٍ فَتَدَبَّرَتْهَا فَكَانَتْ خَيَـــــالاَ

باع ما يملك قبيل وفاته، فلما سُئل عن السبب قال ((أُرِيد سفرا)) فمات بعد أيام قليلة عن تسعين سنة ، وقبره بقي مزارا للقرطبيين في القرن السابع الهجري، يعتقد فيه الزائرون البركة و إجابة الدعوة حسب ما ذكره ابن سعيد المغربي[1]،والفقيه المحدث يحي بن مجاهد بن عوانة الفزَاريّ الإلبيري القرطبي (ت 366هـ)، كانت له رحلة علمية الى المشرق أدى فيها فريضة الحجَّ واشتغل بعلوم القرآن و الفقه و الحديث، قال ابن الفرضي عن زهده ((منقطع القرين في العبَّادة، بعيد الاسم في الزّهد))، و أضاف أن العبَّادة غلبت عليه أكثر من العلم و"العمل كان أملك به"[2]، وخَلَصَة بن موسى بن عُمران الرايّ القرطبي(ت376هـ) خرج الى الحجّ و لا يعرف من سمع عنهم هناك، وصفه ابن الفرضي بالزاهد، لم يكن من أهل العلم لكنه كانَ فاضِلاً مشهوراً بالفضل ، "بعيد الآسم في الخير"؛ قال ابن الفرضي أن جنازته لما توفي كانت مهيبة فصلَّى عليه القاضي محَّمد بن يبقى، قال ابن الفرضي ((شهِدتُ جِنازته، ولا أعلمني شهِدت أعظم حَفلا منها))[3] ، والفقيه الزاهد أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي (ت379هـ) الإشبيلي ،كانت له رحلة إلى المشرق، و وصفه المؤرخ ابن بشكوال في الصلة بأنه كان من أهل الفضل، والتصاون والانقباض عرف من مؤلفاته، في الفقه كتاب سماه "الاقتصاد" و في الزهد كتاب سماه "الاستبصار"[4] .

من الزهاد الموصوفين بالانقباض و تفضيل العزلة في البادية أحمد بن محَّمد بن أحمد بن مُوسى بن هارون القرطبي(ت 391هـ) رحل إلى المشرق فسمِعَ بِمكَّة ومصر والقَيروان قال ابن بشكوال((لما انصرف إلى الأندلس لزم الانقباض والعبَّادة والتَّردد على بادِيتِه))[5]، وأحمد بن محَّمد بن عمر الصدفي(ت 450هـ) وصفه

---

1 -ابن سعيد على بن موسى (ت 685هـ):المغرب في حلى المغرب، شوقي ضيف،ط3، دار المعارف /القاهرة1955. ج1 ص 58.

2- ابن الفرضي، المصدر السابق ،ج2ص188.

3- ابن الفرضي نفس المصدر ،ج1ص167.

4 -ابن بشكوال، المصدر السابق ،ص 13.

5 - ابن الفرضي ، المصدر السابق، ج1 ص72.

ابن بشكوال بالزاهد فقال ((رحل حاجا، وكان من أهل العلم، والعمل وترك الدنيا، صواما قواما، منقبضا، عن النَّاس، فارا بدينه، ملازما لثغور المسلمين، وكان كثيرا ما يوكد في الرواية))[1]،و المحدث أبو الفضل أحمد بن القاسم التيهرتي البزاز (ت 395هـ) نشأ وطلب العلم بتيهرت عند الفقيه بكر بن حمَّاد، جاء في الصلة((كان شيخا، صالحا، زاهدا في الدنيا، منقبضا عن النَّاس، مائلا إلى الخمول))[2]، والزاهد خلف بن على بن علي بن ناصر بن منصور البلوي السبتي الزاهد، قدم الأندلس من سبتة(ت 400هـ)، و ظهر على خلف بن علي الميل الى التصوف فكان يسيح في الأرض ويتخذ من المسجد مسكنا و كان مقصد " الصلحاء و الزهاد" قال ابن بشكوال في الصلة ((زاهدا متبتلا سائحا في الأرض، لا يأوي إلى الوطن، راوية للعلم، حسن الخط، قدم قرطبة وسكن مسجد متعة وتعبد فيه، وكان الصلحاء والزهاد يقصدونه هنالك)) هذه أمثلة قليلة من الزهاد الوافدين على البلاد الاندلسية الذين تركوا أثرا عميقا في المجتمع الأندلسي بتعبدهم و علمهم وجهادهم وورعهم و اقبالهم عل المكاره فكسبوا حب النَّاس وساهموا بذلك في نشأة التصوف في الأندلس[3].

2.التيار الصوفي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

يونس بن عبد الله بن محَّمد بن مغيث يعرف بابن الصفار (ت329هـ)، قال اين بشكوال أنه كان ((كثير الخشوع فيها لا يتمالك من سَمِعَه عن البكاء مع الخير والفضل والزهد في الدنيا والرضا منها باليسير، ما رأيت فيمن لقيت من شيوخي من يضاهيه في جميع أحواله كنت إذا ذاكرته شيئا من أمور الآخرة أرى وجهه يصفر ويدافع البكاء ما استطاع وربما غلبه فلا يقدر أن يمسكه، وكان الدمع قد أثر في عينيه وغيرها لكثرة بكائه، وكان النور باديا على وجهه، وكان قد صحب الصالحين ولقيهم من حداثته، ما رأيت أحفظ منه لأخبارهم وحكاياتهم)) و من مؤلفاته في الزهد كتاب "فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل"؛ وكتاب "التسلي عن الدنيا بتأميل خير الآخرة" ؛ وكتاب " فضائل المتهجدين؛ وكتاب "التسبيب والتيسير" و "الابتهاج بمحبة الله عز وجل" و المستصرخين بالله تعالى عند نزول البلاء" من نظمه في الزهد و الرقائق قوله:

فَرَرتُ إِلَيكَ مِن ظُلمِي لِنَفسِي وَأَوحَشَنِي العبَّاد فَأنتَ أُنسِـــــي

1 -ابن بشكوال، ص ص 61، 62.

2 -ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (ت: 578 ه): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني،ط2، مكتبة الخانجي1374 ه - 1955 م.ص86.

3 - ابن بشكوال ، نفس المصدر، ص 174.

رضَاكَ هوَ المنَى وبِه افتخَـــاري وذِكركَ في الدجَى قَمَرِي وشَمســـي

قَصَدت إِليكَ منقَّطِعـــاً غريبًا لتؤنسَ وحدَتِي فِي قَعرِ رَمســـــــِي

ولِلعُظمَى من الحَاجَاتِ عِندي قَصَدتُ وَأَنتَ تَعلَمُ سِرَّ نَفســـــــِي

لخص المؤرخ الحميدي في "جذوة المقتبس ، ي كتابه " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" سيرة ابن الصفار الزهدية بقوله ((كان زاهداً، فاضلاً، يميل إلى التحقيق في التصوف))[1].

من صوفية المشرق الذين حلّوا بالأندلس طاهِر بن محَّمد بن عبد الله المعروف: بالمهَنّد البغدادي(ت390هـ)؛ دخل الاندلس سنَة 340هـ، قال ابن الفرضي ((قد شكَّ في آخِر أمره، وقال في الزُّهد. وله رسائل عجيبة، وَمقالاتٍ في مَعاني الزُّهد على مذاهب المتصَوِّفة. وكانَ: قد لَزِمَ ضيعته ببلده، وكانت واسِعة مغلة. فكان قليل الشهود بِقرطبة))[2]، وإبراهيم بن علي الديلمي الصوفي من خُراسانَ حلّ بالأندلس واستقر بقرطبة سنة 358هـ ثم عاد الى المشرق ، ولم يعرف ابن الفرضي بنشاطه الصوفي[3]، وأحمد بن محَّمد الأنطاكي الصوفي قَدِم الأندلس سَنة 372هـ ، قال ابن الفرضي أن مذهبه كان التَّصوف والسِّياحة[4]، وسعيد بن حمدون القيسيّ الصوفي القرطبي(ت378هـ) ، كانت له رحلة الى المشرق لكنه حسب ما نقله ابن الفرضي "شديد الإيذاء بِلسانهِ ، يتوقّاه النَّاس على أعراضِهم[5]. وسعِيد بن خلف الصوفي القرطبي (ت387هـ) قال ابن الفرضي((وكان من أهل السنة ، و كان رجلا مقلا يعيشُ من صِلَة إخوانه))[6]، و أحمد بن سعيد بن سليمان قرطبي (ت397هـ)وصفه ابن بشكوال بالصوفي المحدث ، وأضاف أنه قدم طليطلة مجاهدا ، و عطية بن سعيد بن عبد الله (ت نحو 403هـ) طاف بلاد المشرق سياحة، و طلبا للعلم حتى بلغ نيسابور و بلاد ما وراء النهر ي ، قال الحميدي أنه كان يتقلد "مذهب التصوف والتوكل"، و عن مبالغاته أضاف ((كان لا يضع جنبه على الأرض وإنما ينام

---

1 - ابن بشكوال ، الصلة ، ص 647 والحميدي محَّمد بن فتوح الأزدي الميورقي (ت 488هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، (د رط) الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة1966 م. ص ص385، 386.

2 - ابن الفرضي، المصدر السابق،ج1ص245.

3 - ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ،ج 1 ص 29 .

4 - ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ج 1 ص 76 .

5 - تاريخ علماء الأندلس ج1ص 206، 207.

6 - ابن الفرضي ، المصدر السابق، ج 1ص 207.

محتبياً. قال أبو الفضل))[1]،وعبد الله بن محَّمد بن سليمان يعرف بابن الحاج القرطبي (ت 419هـ) ، قال ابن بشكوال ((كان إذا أحيا في الجامع لا يتمالك كل من يسمعه من البكاء))، و له شعر في الزهد و مؤلفات فيه خرج للحج و توفي بالقيروان سنة 419هـ[2]، و هشام بن سليمان بن إسحاق بن هلال القيسي السائح (ت 420هـ)قال ابن بشكوال ((كان زاهدا فاضلا متنسكا متبتلا، منقطعا عن الدنيا صواما قواما، كتب بخطه علما كثيرا ورواه. وكان حسن الخط، جيد الضبط ... ويصنع في عيد الفطر طعاما كثيرا لأهل الحصن ولمن حضره من المرابطين، وينفق فيه المال الكثير، وكان يرابط نفسه في الثغور، ويلبس الخشن من الثياب))[3]، ومن زهاد القرن الخامس عبد الله بن سعيد الشنتجيالي (ت 435هـ)جاء في الصلة ((كان كثيرا ما يكتحل بالإثمد ويجلس للسماع متحببا[4] ، ، ومحَّمد بن شجاع الصوفي. نقل عن الحميدي أنه «كان رجلا مشهورا على طريقة قدماء الصوفية المحققين، وذوي السياحة المتجولين، وقد شهده الحميدي في حدود سنة 430 للهجرة[5]، وعبد الله بن موسى بن سعيد الأنصاري، يعرف بالشارقي(ت 456هـ) ممن انقطع عن النَّاس ، وتجرد للعبادة ولم يكن له زوجة ولا ولد ، قال ابن بشكوال ((وكان حسن الإدراك جيد التلقين، حصيف العقل، نقي القريحة مع الصلاة الطويلة والصيام الدائم، ولزوم المسجد الجامع. كانت له فيه مجالس كثيرة يُعلم النَّاس أمر وضوءهم وصلاتهم وجميع ما افترض الله عليهم. وكان حسن الخلق صابرا لمن حفي عليه، متواضعا، بذ الهيئة، دمثا طاهرا قريبا من النَّاس، قليل المال، صابرا قانعا راضيا باليسير من المطعم والملبس))[6] .

3.التيار الصوفي في الأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين.

أحمد بن معد بن عيسى التجيبس الإقليشي(ت 550أو 551) قال ابن أبار ((وَكَانَ عَالما عَاملا متصوفًا شَاعِرًا مجودًا مَعَ التَّقَدُّم فِي الصّلاح والزهد والعزوف عَنِ الدُّنيَا وَأَهلهَا والإقبال عَلَى العلم وَالعبَّادة... وَأَنه كَانَ

1 - الحميدي، المصدر السابق، ص ص319، 320.

2 - ابن بشكوال، المصدر السابق ، ص 256.

3 - نفس المصدر ، ص 614.

4 - نفس المصدر ، ص 264.

5 - نفس المصدر ،ص 563.

6 - نفس المصدر ، ص 269.

يضع يَده على وَجهه إذا قَرَأَ القارئ فيبكي حَتَّى يعجب النَّاس)) [1]، وأحمد بن عبد الملك بن عميرة الضبي(ت 577هـ) قال المؤرخ أبو جعفر الضبي أنه كان((عالماً عاملاً زاهداً فاضلاً متقللاً من الدنيا أخبرت عنه إن كان يواصل الصيام خمسة عشر يوماً، وكانت أوقاته محفوظة وكان رحمة الله إماماً في طريقة التصوف، وكنت لا تراه من الليل إلا قائماً. وكان أكثر دهره صائماً[2] ،وخلف بن يحي بن خطاب الزَّاهد القرطبي(ت 576هـ) قال ابن الأبار أنه يؤم كان النَّاس بجامع قرطبة ثم مال الى الانقباض، وقد اتخذ بِجَامِع الزاهرة مجلسا له للوعظ والتذكير فقصده النَّاس متبركين بلقائه ودعائه ، من نظمه في الزهد قوله :

قَد تخيرت أنَّ أكون مخفًـــا لَيسَ لي من مطيهم غَير رجلي
فَإذا كُنتَ بَينَ رَكب فَقَـالُوا قَدَّموا للرحيــل قَدَّمتُ نَــعلي
حَيثُمَا كنت لَا أخلف رحلاً من رَآنِي فـــــقد رَآنِي ورحلي[3]

في القرن السابع نذكر إبراهيم بن محَّمد بن خلف المرداسي السلمي (ت 616هـ) كان من المتصوفة الذين التف حوله المريدون حتى غرّبه الموحدون الى مراكش مثلما حدث لبعض الصوفية الذين كانت تخشاهم السلط الحاكمة ، قال ابن الأبار ((و كان من أهل العلم والعمل سنيا فاضلا يشارك فِي الأدب وَغلب عليهِ علم التصوف وَكثر من أَهله الاجتماع إليه والازدحام عليه فغرّ بِهِ السلطان عن وطنه و توفي بمراكش))[4]، ومخلد بن يزيد بن عَبد الرَّحمن القرطبي (ت622هـ) قال ابن الابار ((كان متصوفًا منقبضًا))، وأيوب بن عبد الله بن أحمد الفهري السبتي(642هـ)، كان من المرتحلين الى المشرق للحج وطلب العلم، استشهدَ فِي كائنة العِقاب سنة 609هـ [5].

1 - ابن الأبار، محَّمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت 658هـ):التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، (د ر ط)، دار الفكر للطباعة - لبنان1415هـ- 1995م.ج1ص57.

2 - الضبي أحمد بن يحي (ت 599هـ):بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،(د ر ط)، دار الكاتب العربي – القاهرة،1967 م . ص166. ص ص 433 – 436.

3 - ابن الأبار ، المصدر السابق،ج1 ص ص 247، 248.

4 - ابن الأبار، المصدر السابق التكملة لكتاب الصلة ج1 ص ص 141، 142)

5 - نفس المصدر ج1 ص ص 167 ،168.

4.الصوفيون الغزاليون بالأندلس.

من المرتحلين الاندلسيين الذين لقوا الامام الغزالي أو تلاميذه نذكر عبد الرَّحمن بن أَبِي رَجاء البلوي المقرئ (ت 545هـ) من قرية على مقربة من وادي آش ،رحل حَاجا فِي سنة 497 هـ و لقي فيها أَبا حَامِد الغَزالِيّ ، قال ابن عبد البر ((فَسمع مِنهُ وَأَجَازَ لَهُ تواليفه)) و بعد عودته سنة 505هـ ولي صَلَاة الفريضة و الخطبة بجامع ألمرية و أضاف ابن الفرضي ((وكان زاهدا فَاضلا متصوفا مجاب الدعوَة))[1]، و أَحمد بن عمر المعافرِي يعرف بابن افرند من مرسية نقل ابن الأبار أنه كان صَالحا زاهدًا متصوفًا، لقي في رحلته أَبا الفتح بن الزند انقاني (بلد بَينَ سرخس ومرو) من أصحاب أبي حامد الغزالي[2] .

الاستنتاج.

نلاحظ في الأخير أن الزهد بقي ميزة لأهل العلم من الأندلسيين وكثير من عناصر المجتمع ، فمع زهدهم شاركوا في الحياة العامة كتعليم الطلبة والاشتغال بالقضاء والتطوع للحرب والمرابطة في الثغور، وبعضهم كان من أصحاب الحرف.

ظهر من خلال ما سبق أن كثيرا من متصوفة الأندلس اتجهوا الى التصوف الفردي بالانقطاع ومجاهدة النفس واتخاذ أساليب الوعظ والترغيب والتذكير ، فتميزوا بذلك عن الصوفيين الذين اجتمع حولهم المريدون وأنشأوا مدارس ذات مناهج وطرق كما سنلاحظه فيما سيأتي من محاضرات،

تبين أن أغلب الزهاد والمتصوفة من أهل العلم خاصة الفقه على مذهب الامام مالك وعلم الحديث .

كان للرحلة تأثير على الزهد والتصوف الأندلسي سواء بقدوم أعلام مشارقة ومغاربة أو خروج الأندلسيين في رحلات الحج وطلب العلم ومظاهر هذا التأثر إقبال بعض الأندلسيين على تبني منهج تصوف المدرسة الغزالية .

---

1 - نفس المصدر، ج3 ص ص 24، 25.

2 - نفس المصدر، ج1ص ص66، 67.

المحاضرة رقم 08: جماعات المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس.(جماعة التصوف الألبيرية، جماعة التصوف المعوذية)

المقدمة.

شهدت الأندلس منذ القرن الثاني للهجرة بروز بعض التجمعات للزهاد ثم المتصوفة ستتناول في هذه المحاضرة الجماعات التي أخذت بعدا زهديا ثم صوفيا قائما على المجاهدات النفسية والذكر.

1.أمثلة عن اجتماع الزهاد للذكر والعلم منذ القرن الثاني للهجرة .

نذكر الزاهدة المتعبدة أُخْت القَاضِي مُنْذر بن سعيد الكزني البلوطي عاشت في القرن الثاني للهجرة (في عهد الأمير الحكم بن هشام) ، ذكر المؤرخ ابن بشكوال أنها « كانت تتعبد فِي مَسْجِد لَهَا لصق بَيتهَا فيقصدها صوالح نساء ناحيتها للذّكر والتفقه فِي الدّين ودراسة سير العابدين))[1]، واجتماع الزهاد حول الفقيه المحدث والمقرئ أبي القاسم أصبغ بن مالك القرطبي (ت بين 299هـ و234هـ) يسمعون منه ويتذاكرون معه، قال ابن الفرضي((كان عَابِدا زاهدا يجتمع إلَيْه أهل الزُّهْد والفَضل ويَسْمَعون منه)) [2] .

2.جماعة التصوف الألبيرية.

أنشأ هذه المدرسة الصوفية بقرطبة الزاهد أبو بكر يحيى بن مجاهد الفزاري الإلبيري(366هـ) فعرفت مدرسته بالجماعة الألبيرية، كان أبو بكر الإلبيري من طلاب العلم الشرعي، ثم اتجه الى حياة الزهد وتعليم وتهذيب المريدين ، ثم رحل الى المشرق للحج[3].

---

1 . ابن الأبار، نفس المصدر، ج4ص 245.

2 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 ص 95.

3 - ترجم له الحميدي ، جذوة المقتبس ، المصدر السابق، ص 379

من مريديه محَّمد بن موسى بن علون الجذامي جمع فضائل شيخه أبي بَكر بن مجاهد الألبيري و دون بعض رسائله [1]، و من خاصته محَّمد بن عبد الرحمن الأزدي المعروف بالفراء، رحل معه لأداء مناسك الحج، جاء في التكملة ((وَحكى أَنَّهُ سرد الصَّوم اثنَتَي عشرَة سنة قَبلَ موت ابن مُجَاهِد مُفطرا كل لَيلَة وَقت الإِفطار ثمَّ تَمَادى على ذَلِك بعد مُدَّة مُفطرا عقب العشَاء الآخِرَة لالتزامه الصَّلاة من المغرب إِلَيها تزيدًا من الخَير واجتهادًا فِي العمل))[2]، و رجل يعرف بصبيح الزَّاهد من أهل قرطبة كان من خاصة الشيخ[3] ،ورجل ثري يُعرف بعبد الله بن الزيات القرطبي يكنى كان فِي أول أمره تاجرا ذَا ثروة ثم تصدق بماله و رغب في التصوف بمجالسته ليحيى بن مجاهِد ، فأعتزل أهله وَأقبل على طلب العلم و حياة الزهد الى أن توفي [4]. والصوفي عمروس بن إِسماعيل العبدرِي القرطبي (ت366هـ)، قال ابن الأبار ((كَانَ مُنقَّطع القرين فِي وقته زهدا وَعبادَة وانقباضا عَن النَّاس واشتغالا بتعليم القُرآن ... وَكَانَ صاحبا لأبي بكر يحيى بن مُجَاهِد الألبيري ولم يجمع مثلهما زمن من الأَزمِنَة تبريزا فِي العبَّادة على أَن أَبَا بكر كَانَ أغزر علما وألين عَرِيكَة))[5] و أبو بكر عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت 367هـ)، قال القاضي عياض كان من ابناء الأشراف وأعيان الفقهاء الأخيار و ورعاً زاهداً ،صار في آخر عمره متبتلاً منقطعاً معتزلاً عن النَّاس[6] ، و اشتهر من مريديه القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار القرطبي (توفي 329 هـ) (سبق ذكره ضمن زهاد القرن الرابع) فقد نقل أخباره في كتاب "الابتهاج بمحبة الله تعالى" و كتاب " التهجد و فضائل المجتهدين" [7]و الزاهد أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الذي كسب قلوب القرطبيين فعند موته خلت قرطبة و اضطرت الشرطة الى حراسة المدينة و أبوابها قال القاضي عياض((مات وسط النَّهار من يومه. وانزعجت العامة لموته انزعاجاً لم يسمع بمثله. وشهده

---

1 - ابن الأبار، المدر السابق ،ص ص 297، 298.

2 - نفس المصدر، ج1 ص 297.

3 - نفس المصدر،ج2 ص 223.

4 - نفسه.

5 - نفس المصدر، ج 4 ص 42.

6 - عياض، المصدر السابق، ج ص 119.

7 - ابن بشكوال ، الصلة ، ص 647 والحميدي محَّمد بن فتوح الأزدي الميورقي (ت 488هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، (د رط)، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة1966 م. ص ص385، 386.

النَّاس، حتى خلت قرطبة، واحتاج أولو الأمر الى ضبطها، وحرس أبوابها، حتى فرغ من شأنه، ولم يصل نعشه الى قبره، إلا أصيلاً. وجعلت العامة تلمسه تبرّكاً به، بأيديها وأثوابها. وزاروا قبره مدة)) [1].

3.الجماعة المعوذية.

يتقدم هذه الجماعة التي تنسب للفقيه المتعبد أبي عمرو معوّذ بن داود ابن الأزدي التاكرني(ت431هـ) أخذ الزهد عن الشيخ أبي حفص عمر بن الرعيني عياض ،كان أبو عمرو بن داود حصورا لم يتخذ لنفسه زوجة وزاد انقطاعا و عزلة عندما نشبت الفتنة بقرطبة في نهاية القرن الخامس الهجري [2]، من أصحابه و طلبته في العلم الزاهد عيسى بن محَّمد الكناني التاكرني العابد، أصله من قرية إطابة من أعمال تاكرنا نواحي رُوندة وملقة [3]، ومن أصحابه عبد الله بن سعيد بن مدير الازدي و قد ترك رسائل في الزهد و المواعظ يصفها القاضي عياض بأنها "مستحسنة"[4]، و الزاهد خلف بن اسماعيل من أهل مالقة صحبه وسمع منه[5]، عَبد اللَّه بن سَعِيد بن عَبَّاس بن مالك بن مدير الأَزدِيّ من أهل أشونة قرب اشبيلية وسكن ولده قرطبة روى عن أَبِي عمر معوذ بن داود الزَّاهد وَصحبه حدث عَنه،

من شعره :

خُمصُ البطونِ من الحَرَام أعفةً لَا يعرفُونَ سوى الحَلَال طَعَاما
قومُ إِذَا هجع الظلام علهِـــم قَامُوا فَكَانُوا سُجَّدًا وقيـــامًا
يتلـذذون بِذكـــرِهِ فِي ليلهـم ونهـــارهم لَا يفطرون صيـاما
نصبوا لأَنفُسِهِم قُبَيل مَعـادهم وحسابهم بَين العُيُون إِمَـــامًا [6]

1 - عياض، المصدر السابق ، ج8 ص 39.
2 -نفس المصدر، ج 8 ص 42.
3 - ابن الأبار، المصدر السابق، ص 413 .
4 - أنظر الغرميني ، ص ص 92، 93، 94
5 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1 ص 242.
6 - نفس المصدر ،ج2 ص ص 241، 243.

وأصحابه طاهر بن عبد الله بن أحمد القيسي الإشبيلي(ت 450هـ) الذي روى عنه[1] ، وذوالة بن حفص بن عمر القرشي، القرطبي(ت 339) من أهل تاكرنا ، وذو النون الرجل الصالح (ت بعد 450هـ)، قال ابن بشكوال ((كان ناسكا فاضلا، زاهدا. لقي معوذ بن داود وجرى على طريقته وسنته وهديه))[2]، والعابد أبو الأصبغ عيسى بن محَّمد (ولد 993هـ) قال ابن بشكوال((وهو من العبَّاد الفضلاء الزهاد، وممن عني بطلب العلم))[3].

يقول الباحث الغرميني عن هذه الجماعة الصوفية ((فقد كانت كمثيلاتها تنبني على مبادئ التشدد في المطعم طلبا للقمة الحلال وإن قلت ، وعلى سرد الصيام طوال الأيام تجويعا للبدن وإرهاقا لشهوة النهم ، وعلى الانقطاع أحيانا عن النساء وزيادة النسك والتفرغ ، وعلى قيام الليالي بالصلوات والأذكار ومغالبة النوم والفتور ن ثم في خلال ذلك التذكر الدائم لمرارة الانتقال من الدنيا والاشراف على الحساب والجزاء)) وأنها مبنية على تصوف الخوف والهيبة لا على تصوف الرجاء والمحبة [4].

الاستنتاج.

تميزت هذه الجماعات الزهدية بالتفاف المريدين حول شخصية من الزهاد أو المتصوفة للذكر وطلب العلم، والملاحظ كذلك أن هاتين الجماعتين الصوفيتين الابيرية والمعوذية لم تتعرضا لمضايقات السلطة، قد يكون السبب مرتبطا بابتعادها عن المناهج المعاصرة لها من المدارس الصوفية ذات البعد الفلسفي والباطني والكلامي مثل المسرية و مدرسة ابن العريف و ابن برجان .

1 - ابن بشكوال المصدر السابق، ص 235.

2 - نفس المصدر، ص 182.

3 - نفس المصدر ، ص 413.

4 - أنظر في التعريف بهذه الجماعة، الغرميني ، ص 94.

المحاضرة رقم 09:التيار الصوفي الفلسفي في الأندلس(مدرسة ابن مسرة)

المقدمة

مع انتشار تصوف المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس ، ظهر تصوف أخذ مسالك كلامية وفلسفية وباطنية ، سنتناول في هذه المحاضرة مدرسة ابن مسرة في العهد الأموي ،وتأثيراتها على الفكر الصوفي .

1.مدرسة ابن مسرة 269 – 319هـ /931م.

1.1.مولده ونشأته. ولد محَّمد بن عبد الله بن مَسرَّة سنة 269للهجرة و توفي سنة 319 هـ بقرطبة، وتعلم علوم الدين والفلسفة و مذهب الاعتزال على يدي أبيه الذي كان قدريا يعمل بالتجارة ، و كانت رحلته وهو صغير الى المشرق مع أخيه فسمع بالبصرة حيث كانت من مراكز التصوف و الاعتزال[1]، نشأت المسرية في جو من السرية ثم ظهرت للعلن ،يقول الباحث احسان عباس((ولكن في أوائل القرن الرابع كان هناك مذهب جديد آخذ بالتكون في شيء من السرية والحذر، ولعل هذا التسامح الذي جاء به الحكم – يقصد المرابطي- قد شجعه على الاستعلان، وشجع معتنقيه على الظهور))[2].

2.1.أراء ابن مسرة الصوفية. يقول احسان عباس حول مذهب ابن مسرة معتمدا على الأخبار القليلة المتوفرة أنه كان يجمع بين بعض مبادئ المتصوفة وبين بعض أصول الاعتزال، فلم يكن معتزليا خالصا ولا باطنيا خالصا، فأما المبادئ الاعتزالية التي يقول بها فهي بالاستطاعة – تقول المعتزلة أن الاستطاعة تكون قبل الفعل

1 - ابن الفرضي،ج2ص ص 41، 42.

2 -إحسان عبَّاس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)،ط1، دار الثقافة - بيروت 1960.ص52.

– والوعد والوعيد– أنه يعلم أنَّ الله وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب– ورؤية الله))[1].

تقول الباحثة نصيرة طيطح((تعتبر المدرسة المسريّة فريدة ومتميزة من حيث مذهب عقيدتها الذي جمع بين فكر– المتناقضات كونه عبارة عن تركيب لمبادئ المعتزلة المتعلقة بالوحدة الالهية ،والعدل الإلاهي، والقدرية مع النظريات والتطبيقات الصوفية بحيث ترك آثارا في الفكر والمنهج الصوفي الذي استهوى عددا كبيرا من التلاميذ على امتداد العديد من الأجيال تجاوزت حدود مسافات الزمان والمكان لبلاد الأندلس القرن وسطية– بمعنى الدراسة الأكاديمية متعددة التخصصات في العصور الوسطى))[2].

أما المستشرق الإسباني ميغيل آسين بلاثيوس Miguel Asín Palacios في كتابه حول ابن مسرة musulmanam–hispano Abnmassara y su escula ;orígenes de la fílosofía أن المبادئ الباطنية لتصوف ابن مسرة قد يكون مصدرها آراء منسوبة للفلاسفة الاغريق مثل لانبذوقليس Empédocles (عاش بين490–435 ق م) والفيلسوف فيلون الإسكندري ،إيديدا بالعبرية(20 ق م – 50 م) وأفلوطين.

من هذه الآراء المنسوبة لانبذوقليس الجمع بين معاني صفات الله وأنها كلها تؤدي إلى شيء واحد وانه ان وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة، بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه، وإذا أخذنا برأي بلاثيوس فإن تصوف ابن مسرة كان يقول بوحدة الوجود وينسب بلاثيوس ابن مسرة للمدرسة الأفلاطونية[3]، ويضيف الباحث احسان عباس ان ابن مسرة اخذ بقول افلاطون بوجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الإلهية. واعتبرت هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية. وقد دافع ابن مسرة عن هذا المذهب تحت ستار إسلامي من آراء المعتزلة والباطنية[4].

---

1 - احسان عبَّاس، تاريخ ادب الأندلسي ،ص .54

2 - نصيرة طيطح : ابن مسرة الأندلسي وإشكالية العقيدة والسلطة، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 08 / العدد: 01 السنة 2021.، ص300.

3 -احسان عبَّاس، المصدر السابق،ص55 وآنخيل جنثاليث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد1955.ص226 فما بعدها.

4 - نفس المرجع،ص55.

اتُّهِمَ ابن مسرة بالزَّندقة فخرج فمهاجرا ، واشتَغَل بملاقاة علماء الكلام ، والمعتزلة ، ثم عاد إلى الأندَلُس، يقول ابن الفرضي عن عقيدته القدرية ((أظهر نسكاً وَوَرعاً، واغتر النَّاس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر النَّاس على سوء معتقده، وفتح مذهبه فانقبض من كان له إدراك وعِلم، وتَمَادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجَهل فدانوا بنحلته. وكان: يقوُل بالاستطاعة، وانفاذ الوعيد، ويحرف التأويل في كثير من القرآن)). ونقل ابن الفرضي رأي أهل العلم في ابن مسرة فقال((النَّاس في ابن مسرة فرقتان: فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العِلم والزَّهد، وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامهِ في الوَعد والوَعِيد، وبخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندَلُس الجارية على مذهب التقليد والتسليم[1].

3.1. مؤلفاته وأفكاره الفلسفية والكلامية والصوفية. ضاعت أغلب مؤلفات ابن مسرة ولم بق سوى رسالة عنوانها "خواص الحروف وحقائقها وأصولها" وكتاب "الاعتبار" وكتاب "توحيد الموقينين تحدث فيه عن الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات ذكره أبو إسحاق بن رهاق ابن المرأة أستاذ ابن سبعين في شرحه على"الإرشاد" للجويني [2].

"كتاب الحروف" يفهم من عنوان خواص الحروف أن لبعض المواد تأثير فللحروف عنه تأثير كذلك كما نرى ذلك عند جابر ابن حيان أو المجريطي أو البوني بقول مثلا في حرف الألف ((من أمثلة الواردة في كتابه الحروف قوله أن الألف هي أول أدلة التوحيد و ذلك أنها مفردة الابتداء بها لا تتصل بشيء من حروف المعجم و لا يشبهها إلا الام إذا اتصلت في كلمة أو انفصلت فانضافت الى الآلف للتشبيه...فأول الأسماء الحسنى الله، و لذلك ابتدأ به في فاتحة الكتاب))، و يضيف أن الألف تدل على صفة التوحيد و أنه((إذا أتى اللف في آخر الكلمة أو وسطها بما قبله و انفصل مما بعده فدل تعالى اسمه في الابتداء به أنه الاول ،و باتصاله بما بعده أنه الآخر))، و عن اللم قال ((قال أهل علم الباطن بكلام الباطن : إن الم هو اسم الله الأعظم و إن الألف إشارة الى ذات الله تعالى ،لانفراد الألف عن الاتصال ،و هو الاسم القديم الأزلي الذي لا يفسر بأكثر من هو ، ولما كانت اللام تصحب الألف و الغيب المكنون، و هو الاسم الذي تسمى الله به)) ،و له شرح في حروف ما بسميه مداخل الحياة "المص" و" ألر" "كهيعص" و"طه".

---

1 - ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ، ج2 ص ص 41، 42.

2 -ابن الأبار، المصدر السابق، ج1ص ص 233، 234 و كامل محَّمد عويضة، ابن مسرة محَّمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الفيلسوف الزاهد،ط1،دار الكتب العلمية بيروت 1414هـ/1994م. ص22 ،23.

يقول ابن مسرة في ترتيب السور ((أنما كانت النون آخر آيات الكتاب ، لأن الروح الحامل للأرض مكانها ، ولأن الروح هو المكان الحامل لجمع الأجسام، وهو النسيم الحامل المحيط بالأرض ضاهرا وباطنا)).

لابن مسرة رسالة عنوانها "الاعتبار: ذكرها ابن الأبار بعنوان "التبصرة"، في ذهن ابن مسرة طريقان للوصول الى المعرفة الالهية ، يبدأ الوحي بالموجود الاعلى (الإله)ثم ينزل الى أسفل جزء في العالم أما العقل يبدأ من القاع ويصعد تدريجيا حتى يصل الى الموجود الأعلى يقصد من خلال كلمة الاعتبار أنها الأساس الفعلي الاستبطاني للبحث والسعي وراء الحقيقة فهي ترادف كلمة التفكير والتأمل وبمعنى عام فان طريق الاعتبار هو الفلسفة[1].

4.1.موقف الفقهاء المالكية من مدرسة ابن مسرة والمسريين. يبدو أن ابن مسرة كان يلقن تلاميذه الاعتزال، كما قيل إنه ينشر آراء بوحدة الوجود مما جلب له عداء الفقهاء والدولة ، فاتُهم ابن مسرة بالزندقة، واضطر للفرار مع صاحبيه تلميذيه ابن المديني وابن صقيل، فنزلوا في مكة اشتغل ابن مسرة في رحلته بملاقاة أهل الجدل والكلام والمعتزلة.

وقف الفقهاء المالكية موقف المستنكر من أفكار ابن مسرة .قال الحميدي عن ابن مسرة : "له طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتآليف في المعاني، ونسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها" وقال ابن الفرضيّ ((اتهم بالزندقة فخرج فارا، وتردد بالمشرق مدة، ثم انصرف إلى الأندلس. وكان يحرّف التأويل في كثير من القرآن، وقد رد عليه جماعة من أهل المشرق))، وفي تاريخ قضاة الأندلس أن القاضي ابن زرب وضع كتابا في الرد على ابن مسرة، واستتاب بعض أتباعه، و (أحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه[2].

من خصومه محَّمد بن يَبقَى بن محَّمد بن زَرب بن يزيد بن مَسلَمة. قاضي الجماعة بقُرطُبَة(ت 381هـ) أحفظ أهل زَمانه لِلمَسائل على مذهب مالك وأصحابه كثير الصّلاة وقد حدّث بصحيفة ردّ فيها على محَّمد بن مَسَرَّة قال التباهي في ملاحقة ابن زرب للمسريين((واعتنى القَاضِي ابن زرب بِطَلَب أَصحَاب ابن مَسَرَّة، والكشف عَنهُم، واستتابة من علم أَنه يعتَقد مَذهَبهم؛ وَأظهر للنَّاس كتابا حسنا وَضعه فِي الرَّد على ابن مَسَرَّة،

1- أنظر ما يتعلق بفكر ابن مسرة الصوفي الباحث كامل محمد عويضة، ص ص 28- 74 .

2 - النُبَاهي أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي الأندلسي (ت نحو 792هـ) : تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)،تحقيق لجنة إحياء التراث،ط5، دار الآفاق الجديدة - بيروت/لبنان العربي في دار الآفاق الجديدة 1403هـ-1983م.، ص 78.

قرئَ عَلَيهِ وَأخذ عَنهُ. وَكَانَ سنة 350.هـ استتاب جملَة جِيءَ بهم إِلَيهِ من أَتبَاع ابن مَسَرَّة؛ ثمَّ خرج إِلَى جَانب المسجِد الجَامِع الشَّرقِي))[1].

ممن رد على فكر ابن مسرة وأهل مقَالَته محَّمد بن الحسن الزبيدِيّ الإشبيلي النَّحوِيّ(ت 399هـ) في كتاب الرَّد على ابن مَسَرَّة ، سَمَّاهُ هتك ستور الملحِدِينَ، واحمد بن محَّمد بن زياد الأعرابي واحمد بن محَّمد بن سالم التستري.

5.1. موقف الدولة الأموية من مدرسة ابن مسرة والمسريين. أصدر الخليفة الأموي النّاصر في 9 ذي الحجة 345 هـ بعد وفاة ابن مسرة منشورا أدان فيه حركة ابن مسرة نقله ابن حيان في المقتبس حرره الوزير الكاتب عبد الرحمان بن عبد الله الجالي، فانطلقت حملة قمع ومطاردة الحركة المسرية اشتدت في عهد قاضي الجماعة محَّمد بن يبقى بن زرب (ت 367هـ) والى جانبه كثير من الفقهاء والمحدثين مثل عالم اللغة أبوبكر الزبيدي والمحدث المقرأ أبو عمر الطلمنكي، و قام الفقهاء بإخراج كتب ابن مسرة من مكتبة الحاجب المنصور بن ابي عامر و عبد الله بن محَّمد بن نصر بن أبيض بن محبوب بن ثابت الأموي النحوي من أهل طليطلة سكن قرطبة واستوطنها يكنى: أبا محَّمد عني بالحديث وجمعه وتقييده وضبطه، وكان أديبا حافظا نبيلا سمع النَّاس منه وجمع كتابا في الرد على محَّمد بن عبد الله بن مسرة أكثر فيه من الحديث والشواهد وهو كتاب كبير حفيل))[2] .

من المسريين الذين تعرضوا لحصار الدولة الأموية والفقهاء المالكية : عبد الرحمن بن المهندس، الذي كان يلقب بإقليدس الاندلس، وصاعد بن فتحون بن مكرم السرقسطي الذي وأودع السجن ، واستمر فكر المسري رغم كل التحديات وبرز هذا الفكر بقوة في فلسفة ابي بكر بن عربي الدي ذكر ابن مسرة في كتابه الفتوحات المكية وعن طريق ابن عربي سينتقل فكر ابن مسرة الى المشرق[3].

6.1.كبار مريدي ابن مسرة . كون ابن مسرة جماعة من المريدين تحولت مع مرور الوقت إلى مدرسة صوفية انتشر أتباعها في كل أرجاء الأندلس خاصة في قرطبة جيان وألمريا وانتقل مع مريديه الى جبل الشارات (سيرا ملونا)شمال قرطبة معتكفا ومنعزلا عن تحرش الخصوم في قرطبة.

---

1 - نفسه.

2 - نفس المصدر، ص78.

3 - أنظر مقال نصيرة طيطح ، ص 294.

يقول بالنثيا نقلا عن المصادر العربية – وقدت هذه الجماعة من المريدين يجتمعون بجبل الشارات ،يبدو أنه كانت لها طريقة في التصوف تشبه طريقة ذب النون الاخميمي المصري والنهرجوري لهذا أثاروا حولهم شكوك الفقهاء والسلطة الأموية.

1.6.1.الفرع الأول الفرع الأول من المسريين. الذي أخذوا أصول التصوف من ابن مسرة وكان متصوفة هذا الفرع مداومين عل حضور حلقاته ومصاحبته حتى وفاته أما أشهر تلامذته الذين صحبوه أو آمنوا بمذهبه دون صحبة؟ عدا الذين تقدمت الاشارة إليهم فهم:

أحمد بن غانم ويعرف بالمديني وحج مَعَه حجَّتين كما خرج معه الى الحج معه أَيُّوب بن فتح قال ابن الأبار ((أخذ كتبه عَنهُ وَكَانَ كثير العَمَل مُجتَهدا لَهُ نُسكٌ وزهد تُوُفِّيّ سنة خمس وَأَربَعين وَثَلَاث مَائة))[1]، و زاد ((وَصَحب محَّمد بن مَسَرَّة الجبلي قَدِيما واختص بمرافقته فِي طَرِيق الحَج ولازمه بَعدَ انصِرَافه)) يقول ابن المديني أن ابن مسرة لما خلى و مريديه بجبل الشارات شمال قرطبة مقام خلوته مع مريديه بنى بيتا على شكل بيت النّبي ﷺ في المدينة وقال ((هَذَا البَيت الَّذِي تراني فِيهِ بنيته عَلَى تِلكَ الحِكَايَة فِي العرض والطول بِلَا زِيَادَة وَلَا نُقصَان))[2]ومحَّمد بن سليمان العكي يعرف بِابن المورروري (ت357هـ) قال ابن أبار ((صَحب محَّمد بن مَسَرَّة الجبلي وَأخذ كتبه وضبطها وَكَانَ من أَهل الفَضل والزهد وتُوُفِّيّ لِاثنَتَي عشرَة بقيت من ذِي القعدَة سنة سبعٍ وَخمسين وثلاثمائة))[3] و خليل بن عبد الملك ت 323هـ قال ابن الابار((من أَهل قرطبة صحب محَّمد بن مَسَرَّة الجبلي وتَفَقَّه فِي كتبه وضبطها وَكَانَ غَايَة فِي الزّهد والورع كثير العَمَل وَكَانَ النّظر إِلَيهِ موعظة يذكر من السّلف الصَّالح)) و أيوب بن فتح من أهل قرطبة وكان ممن رحل مع ابن مسرة الى الحجاز (ت 345هـ)، قال ابن الابار((خَلِيل بن عَبد الملك من أَهل قرطبة صحب محَّمد بن مَسَرَّة الجبلي وتَفَقَّه فِي كتبه وضبطها وَكَانَ غَايَة فِي الزّهد والورع كثير العَمَل وَكَانَ النّظر إِلَيهِ موعظة يذكر من السّلف الصَّالح))[4] وأيوب بن سليمان إسماعيل الطليطلي (ت343هـ) قال ابن الأبار ((وَكَانَ قديم الجوَار لَهُ طَوِيل الملَازمَة))[5] والياس بن يُوسُف

1 - ابن الأبار، المصدر السابق ، ج1 ص165.

2 - نفس المصدر ،ج1ص ص .192 ،193.

3 - نفس المصدر ، ج 1ص294.

4 - نفس المصدر ،ج1ص251.

5 - نفس المصدر ،ج1ص165.

الطليطلي(ت321هـ) وَأَخُوهُ عون[1]، وعبد الوهاب بن منذر قال ابن الأبار ((كان ناسكاً عفيفاً منبضاً عن النَّاس، كثير الصلاة، مذكرا بالله تعالى))اتهم بالاعتزال وكان يؤم بمسجد بدر داخل المدينة. وتوفي في آخر ربيع الأول من سنة ستٍ وثلاثين وأربع مئة ذكره ابن حيان[2] وحَيّ بن عَبد الملك قال ابن الأبار ((وَكَانَ قريب الجوَار مِنهُ يسكن مَعَه الأَيَّام الكَثِيرَة فِي متعبده بِالجبل (وجبل الشارات)[3]،

نلاحظ في الأخير أن أغلب مريدي ابن مسرة كانوا من القرطبيين الذين كانوا يصاحبونه ويرافقونه الى خلوته بجبل الشارات.

2.6.1.الفرع الثاني: ممن بنسب الى تصوف ابن مسرة. وهم المسريون الذين أخذ أفكار التصوف من تلامذته مثل الأخوين منذر بن سعيد وأضحى بن سعيد أخذ كتبه وَلم يصاحبه قال ابن الأبار ((كَانَ من أَهل الخَير والانقباض معلما بِالقُرآنِ))[4]؛ ممن برز أعلام هذا الفرع من المسريين إسماعيل بن عبد الله الرعيني ، عالم بالنحو واللغة وشاعر وكان صاحب نسك واجتهاد كبير في الصيام والصلاة، وكان يقول بأن الأجساد لا تبعث أبدا وإنما تبعث الأرواح فقط ، وأن النبوة مكتسبة وقوله بزواج المتعة وأن دار الاسلام دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم. نقل ابن حزم((إِسمَاعِيل بن عبد الله الرعيني أَنه كَانَ يُنكر بعث الأجساد وَيَقُول أَن النَّفس حَال فراقها الجسد تصير إِلَى معادها فِي الجنَّة أَو النَّار[5]،والنحوي اللغوي الشاعر أبانُ بن عيسى بن محَّمد الغافِقيّ(ت377هـ)[6] والمحدث أحمدُ بن فَرجِ بن منتِيلِ بن قيسٍ (ت344هـ)[7]، ومحَّمد بن اَحمد بن حَمدُون بن عيسى بن عليّ بن سَابق الخولاني(ولد 350هـ): الحافظ للأخبار والأنساب، العالم باللغة، قال ابن الفرضي ((مَشهوراً باعتقاد مذهب ابن مَسَرَّة لا يَتَستّر. وكان مولعاً بالتشريق في صلاته))[8].

---

1 - نفس المصدر ،ج1ص173 وج4ص39.

2 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 361

3 - ابن الأبار، المصدر السابق ، ج1ص ص 233 ،234.

4 -نفس المصدر ، ج1 ص 173.

5 - ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط2،دار الجيل بيروت 1416هـ/1996م. ج 4 ص138.

6 - ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ص 31.

7 - ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 852هـ): لسان الميزان،ط2،تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان1390هـ /1971م.ص417 وابن الفرضي ج1 صص31 ،32 ، 53

8 - ابن الفرضي ، نفس المصدر، ج2 ص84.

رغم كل المحن كانت أعداد المعتنقين للتصوف المسيري عبر العصر الوسيط كبيرة جمعت أسماءهم كتب التراجم

جدول لبعض أتباع مدرسة ابن مسرة من الجيل اول الى الجيل الثالث(ما بين 266-638هـ/899-1240م)[1]

الجيل الأول :بعد سنة 266هـ/899م	محمد بن حزم بن بكر التوّخي المعروف بابن المديني	أحمد بن غانم
	حي بن عبد الملك	أيوب بن فتح
	الياس بن يوسف الطليطلي(ت321/940م)	وخليل بن عبد الملك (ت323هـ/942م)
	أحمد بن غانم ابن صقيل محمد بن وهب القرطبي	أيوب بن سلمان اسماعيل الطليطلي ت343هـ/954م)
	محمد بن فضل الله بن سعيد	أحمد بن وليد(ت376هـ/986م)
الجيل الثاني :بعد سنة 370 هـ/980م	رشيد بن فتح الدجاج (ت376هـ/986م)	إبان بن عثمان(ت377هـ/987م)
	ابن الامام (ت380هـ/990م)	محمد بن عبد الله بن عمر بن الخير القيسي (ت382هـ/992م)
	محمد بن عبد الله بن عمر بن الخير القيسي (ت382هـ/992م)	عبد العزيز بن حكم الأموي (387هـ/997م)
	وسعيد من بيت البلوطي توفي سنة (ت404هـ/1013م)	اسماعيل بن عبد الله الرّعيني (ت432 هـ /1040م)،
	اسماعيل بن عبد الله الرّعيني (ت432 هـ /1040م)	
الجيل الثالث: بعد سنة 500هـ /1107م	أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاءالله بن العريف (ت 536 هـ/1141م) (ت 536 هـ/1141م)	ابن بكر محمد بن الحسين المروقي
	أبا الحكم ابن برّجان (ت حوالي 536هـ/1141م)	أبا القاسم بن قمي (ت 546هـ/1151م)
	محي الدين محمد بن علي بن العربي (ت638هـ/1240م)	شمس الدين القرطبي (671هـ/1173م)

الاستنتاج.

تعد ممدرسة إين مسرة أول مدرسة صوفية أخذت بمنهج الفلاسفة، و رغم الحصار الذي تعرضت له إلا أنها عرفت رواجا و اقبالا في المغرب و المشرق حتى بعد وفاة ابن مسرة ويبدو أن أفكاره الصوفية قد تبناها أجيال من صوفيي الباطن من بعده.

1 - نصيرة طيطح : المرجع السابق، ص 296 .

المحاضرة رقم 10: مدرستا ابن العريف وابن برجان، وحركة ابن قسي في العهد المرابطي وبداية العهد الموحدي بالأندلس.

المقدمة

تميز العهد المرابطي بالأندلس بظهور ثلاث تيارات صوفية ، هي مدرسة ابن العريف ومدرسة ابن برجان وحركة ابن قسي ذات البعد الساسي في مرحلة الانهيار المرابطي وانتقال الأندلس للحكم الموحدي، سنعرض لهذه الفرق الصوفية في هده المحاضرة.

1.مدرسة ابن العريف في الأندلس وامتداداتها في بلاد المغرب 481-536هـ /1088-1141م.

1.1 . تعريف ابن العريف . هو ابن العريف أحمد أبو العبَّاس بن محَّمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المري(481 . 526هـ)،نسبته إلى ألمرية التي استوطنها أبوه وفيها أقبل على طلب العلم، غلب عليه الزهد و الورع فصار قبلة ومقصد الطلبة و المريدين والعبَّاد و الزهاد ، قال المؤرخ الذهبي ((وَلَبِسَ الخِرقَةَ مِن الصوفي أَبِي بَكرٍ عبد الباقي بن الحجاري ت502هـ))[1]، قال عنه ابن بشكوال((كان متناهيا في الفضل والدين، منقطعا إلى الخير، وكان العبَّاد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه ويألفونه فيحمدون صحبته، وسعي به إلى السلطان فأمر بإشخاصه إلى حضرة مراكش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة صدر الليل، ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر من 536هـ، واحتفل النَّاس لجنازته، وندم السلطان على ما كان منه في جانبه وظهرت له كرامات))[2]،وقال عنه المؤرخ أبو القاسم الضبي((فقيه زاهد إمام في الزهد عارف محقق صحبه ابن

1 - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ط 14 ص 487 .

2 -ابن بشكوال، المصدر السابق ، ص83.

عم أبي، الزاهد أبو جعفر، قال لي عنه القاضي أبو القاسم بلدية: إنه كان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً، توفى سنة ست وثلاثين وخمسمائة، ...وشعره في طريقة الزهد كثير)).

ومما أنشد في التصوف:

شدوا الركاب وقد نالوا المنى بمنى وكلهم بأليم الشوق قد باحـــا

راحت ركابهم تندى روائحهـــا طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا

يا واصلين إلى المختـــار من مضر زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحـــا

إنا أقمنا على شوق وعن قـــدر ومن أقام على عذر كمن راحـا [1]

2.1. تصوف ابن العريف. يقوم التصوف عند ابن العريف الصنهاجي على الالتزام بتعاليم الكتاب والسنة والسعي الى تصفية النفس وتجريدها من علائق البدن باستخدام مجاهدة النفس بالقيام الصيام والخلوة والذكر. نقترب من التصوف العرفاني قال الذهبي في تاريخ الاسلام ((كان العبَّاد يأتونه ويجتمعون لسماع كلامه في العرفان))[2].

يتميز أتباع هذا الاتجاه بالمسالمة على عادة الزهاد والمتصوفة ، وينسبون سند مذهبهم الصوفي إلى الحسن البصري، ولا نعرف مدى تأثر ابن العريف بتصوف ابن مسرة لكن الأكيد أنه لم يقل مثله بالحلول.

يكون تصوف ابن العريف قد تأثر بشيخيه وهما من كبار علماء الأندلس أولهما أبو الحسن علي بن محَّمد البرجي (ت509هـ)، الذي كان من المنتصرين لكتاب " إحياء علوم الدين" [3] وثانيهما العالم المحدث أبو علي الصدفي الذي كانت له رحلة الى المشرق ولما عاد واستوطن مرسية ألتف حوله النَّاس للأخذ عنه العلم والسلوك الزهدي وقد ألف له ابن الأبار كتاب "معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي" جمع فيه أسماء من صحب هذا العالم الزاهد[4].

ألف ابن العريف عدة تصانيف منها "كتاب محاسن المجالس وكتاب مطالع الانوار ومنابع الاسرار[5].

---

1 -الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص166

2 - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.ج36ص 405.

3 - أنظر ترجمته في عند ابن الأبار، ج3 ص 182.

4 - أنظر الغرميني، المصدر السابق ، ص ص 139، 140.

5 - عمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت 1408هـ): معجم المؤلفين،(د ر ط) مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د ت ن). ج 2 ص 164.

3.1.موقف الفقهاء من ابن العريف . من الفقهاء الذين وقفوا ضد تيار ابن العريف الفقيه القاضي محَّمد بن إبراهيم الغساني المعروف بابن الأسود مما دفع الأمير المرابطي علي بن يوسف الى ترحيله نحو مراكش مع بعض أتباعه وبقي هناك الى أن توفي[1].

جاء في تاريخ الاسلام للذهبي((وبَعُدَ صِيتُه، فثار الحسدُ في نفوس فقهاء بلده، فرفعوا إلى السّلطان أنّه يروم الثّورة والخروج كما فعل ابن تُومَرت، فأرسل ابن تاشفين إليه وقيّده، وحُمِل إلى مَرّاكُش، فتُوُفّيّ في الطريق عند مدينة سلا))[2]، بينما قال السلاوي ((وسعى بِهِ إِلَى أَمِير المسلمين عَليّ بن يُوسُف فَأمر بإشخاصه إِلَى حَضرَة مراكش فوصلها وَتُوفِّي بهَا لَيلَة الجُمُعَة الثَّالِث وَالعِشرين من صفر من السّنة المذكُورَة واحتفل النَّاس لجنازته وَنَدم أَمِير المسلمين ... وَدفن بِقرب الجَامِع القَدِيم الَّذِي بوسط مراكش فِي رَوضَة القَاضِي مُوسَى بن أَحمد الصنهاجي قلت وقبره الآن مَشهُور بسوق العطارين من مراكش عَلَيهِ بِنَاء حفيل))[3].

4.1. أتباع ابن مسرة. من خاصة مريدي ابن العريف عَتِيقُ بن عيسى بن أحمدَ الخَزرَجي، من ذُرِّيّة عُبَادةَ بن الصّامت (ت 548 هـ)، وله "برنامَج" ضمَّنَه رواياتِه و"رسالة في الفِتن والأشراط"، ومصنَّفٌ جَمَع فيه "كلامَ شَيخِه ابن العَرِيف نثرًا ونظمًا" لعله هو "مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة" الذي حققته الدكتورة عصمت دندش ونشرته دار الغرب الإسلامي))[4].

العالم المحدث محَّمد بن الحسين الانصاري الخزرجي الشهير بالميورقي (ت537هـ) سكن غرناطة، أدى مناسك الحج ثم طاف ببلاد الأندلس ويبدو أنه كان ظاهريا المذهب . غُرِّبَ مع ابن العريف و ابن برجان ، ثم تمكن من الهروب الى الشرق ثم استقر ببجاية إلى أن توفي سنة 537هـ ، قال الأنصاري في الذيل و التكملة ((امتُحِن من قِبَل عليّ بن يوسُف بن تاشَفين، فحُمِل إليه صُحبةَ أبي الحَكَم ابن بَرَّجان وأبي العبَّاس ابن العَرِيف، وضُرِبَ بالسَّوط عن أمرِه، وسَجَنَه وقتًا ثم سَرَّحَه، وعاد إلى الأندَلُس وأقام بها يسيرًا، ثم انصَرفَ إلى

---

1 - أنظر مميزات التصوف عند ابن العريف، الغرميني ، ص 168فما بعدها.

2 - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ،ج 36ص 405.

3 - السلاوي أحمد بن خالد بن حماد بن محَّمد الناصري الدرعي(1250 - 1315 هـ / 1835 - 1897 م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحَّمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء المملكة المغربية 1418هـ/1997م.ج2 ص 76 .

4 - الأنصاري محَّمد بن محَّمد بن عبد الملك (ت 703 هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محَّمد بن شريفة، بشار عواد معروف،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2012 م.ج3ص105.

المشرقِ، فتوفِّي بالجزائر في شهر رَمَضانِ سبع وثلاثينَ وخمس مئة)) [1]، وقال ابن الأبار ((وَصَارَ آخرا إِلَى بجاية هَارِبا من صَاحب المغرب حِينَئِذٍ بَعدَ أَن حُمِلَ إِلَيهِ هُوَ وَأَبُو العبَّاس بن العريف وَأَبُو الحكم بن برجان وحدَّث هُنَالك وَسمع مِنهُ))[2].

أحمدُ بن محَّمد بن عبد الله بن أحمدَ الأنصاري قال الأنصاري((بَلَنسِيُّ الأصل(ت581هـ)... ولا أُبعِدُ أن يكونَ قد لَقِيَ أكثرَ الشّيوخِ الذين ذَكَرَ أنه حدَّث عنهم بالإجازة، بل قد كان له اختصاصٌ مشهورٌ بأبي العبَّاس ابن العَريف منهم))[3].

سُليمانُ بن عُمر بن يوسُفَ الكِنَاني، مالَقيّ، استَوطَنَ مِصرَ وبها توفِّي، قال الانصاري ((كان من أهل الزُّهد والانقطاع إلى الله تعالى والعُزوفِ عن الدُّنيا والإقبالِ على الآخِرة صاحبَ مُجاهَداتٍ وكرامات ... روى بالأندَلُس عن أبي العبَّاس ابن العَرِيف ولازَمَه وانتفَعَ به، ثُم رَحَلَ إلى المشرِق فأدَّى فريضةَ الحجّ، وجال بالشَّام وغيرها آخِذًا عن مشيَخةِ العلماءِ هنالك))[4].

عليّ بن إسماعيلَ بن رِزقِ بن أبي ليلى التُّجيبيُّ فقيهًا فاضلًا محدّثًا ، مَرَوِيٌّ، من مُرسِيَة صَحِبَ ابن العَرِيف ، وتوفِّي نحوِ 316هـ))[5].

عليُّ بن خَلَف بن غالبِ بن مَسعود الأنصاريُّ، العارفُ (ت568هـ)من رجال التصوُّف، وصَحِبَ منهم ابن بَرَّجَان، وأبا العبَّاس ابن العَرِيف[6].

قاسمُ بن عليّ بن صَالح بن قَيصَرَ الأنصاريُّ، مَرَوِيٌّ، سكَنَ دانِيَة تَلا بالسَّبع على ابن العَرِيف[7].

محَّمدُ بن أحمدَ بن عِمرانَ بن عبد الرحمن بن محَّمدِ بن عِمرانَ بن نُمَارةَ الحَجَريّ ...صحب ابن العريف[8].

موسى بنُ يوسف بن موسى صحب ابن العريف بالمرِية، كما ألبسَهُ شيخه ابن العريف الخرقة[9].

---

1 - نفس المصدر، ج4 ص 185، 186.

2 -ابن الأبار، المصدر السابق، ج1ص 359.

3 - الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ج1 ص607 .

4 -نفس المصدر، ج2 ص74.

5 - نفس المصدر، ج3 ص 162.

6 - نفس المصدر، ص175، 177،176.

7 - نفس المصدر، ص .460

8 - نفس المصدر، ج 4 ص17.

9 - الذهبي، تاريخ الاسلام، ج43ص165.

مُحَّمدُ بن أبي بكر بن أبي الخَليل التَّمِيميُّ(ت557هـ)، ممن تَلا بالسَّمع ابن العَرِيف، وصَحِبَه ونَحا طريقَه[1] ومحَّمدُ بنِ عبد العزيز بن محَّمد بن إبراهيمَ بن عثمانَ الخَزرَجيُّ، مَرَويٌّ سَكَنَ مالَقةَ وكان حيًّا سنةَ 577هـ [2].

مُحَّمدُ بن عبد الله بن عيسى الكُتَاميُّ، سكَنَ قَصرَ عبد الكريم، أبو عبد الله، ابن المدَرة ، صَحِبَ ابن العَرِيف[3] وآخر من بقي من أصحاب ابن العريف الزّاهد موسى بن مَسدي[4].

2. مدرسة أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن برجان. ت 526هـ.

1.2. تعريف ابن برجان. من كبار المتصوفة في العهد المرابطي غربه المرابطون مع ابن العريف إلى مراكش، وتوفي في السجن بعد مناظراته مع الفقهاء المالكية بمراكش سنة 526هـ ربما لادعائه الإمامة، من مؤلفاته شرح أسماء الله الحسنى وتفسير القرآن الكريم تفسيرا صوفيا على الطريقة الباطنية ؛ ذكره أَبُو عَبد الله الأَبّار فقال((كان من أهل المعرفة بالقراءات، والحديث، والتَّحقُّق بعِلم الكلام، والتّصوُّف، مع الزُّهد، والاجتهاد في العبَّادة))[5].

عاصر ابن برجان الشيخ المتصوف ابن العريف، وكان على صلة بالنظر لانتمائه الى فئة المتصوفة وكانت مراسلات بينهما واستشارات متبادلة الفرق، غير أن علم الكلام غلب على ابن برجان والفقه غلب على ابن العريف[6] .

2.2. تصوف ابن برجان. يرى ابن برجان أن الانسان جوهر وسط بين الله والطبيعة فهو مرآة تنعكس فيها أسماء الله تعالى الحسنى عندما يتخلق بها في حياته في شرحه لكتاب أسماء اللها لحسنى يعطي اهمية لمدى تخلق العبد بتلك الاسماء بناء على القاعدة التي كان يؤمن بها ((أن الانسان خلق على صورة الرحمن))،

كان يؤمن باشتقاق أسماء الله تعالى وأنها غير توقيفية ، فهو يوصلها الى 130اسما.

---

1 -الانصاري، الذيل والتكملة ،ج4 ص153.

2 - نفس المصدر، ج4ص424.

3 - نفس المصدر، ج5ص199.

4 - الذهبي، تاريخ الإسلام 36 ص ص 404،405.

5 - ابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص21.

6 - غرميني، المرجع السابق، ص ص 119 ،120

أول الخلق عند ابن برجان فهو ((الإمام المبين)) الذي تفرع منه كل الخلق انطلاقا من قوله تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[1] مخالفا من قال العرش أو المادة الأولى أو القلم وهو اللوح المحفوظ في قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2].

في خلق الله للعوالم و المخلوقات انتهى الى الاعتقاد إلى أن هناك حلقة وسطة بين الخالق و المخلوق سماها ((الحق المبين)) معتمدا على قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾[3] و قوله ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[4] ،و الحق نور خاص له أولوية في الظهور و منه تفرعت الأكوان بإرادة الله و قدرته[5].

يقوم تفسير ابن برجان على التفسير بالرأي والتأويل مرتبطا باهتمامات وحسابات فلكية زمنية رياضية توصله الى تنبؤات مستقبلية[6] ،مثال على ذلك ما ورد عند الذهبي بعد احتلال الصلبيين بيت المقدس سنة 487هـ قَالَ أَبُو شامة: وقفت أَنَا على ما فسره ابن برّجان من أن بيت المقدس استولت عَلَيهِ الروم عام سبعةٍ وثمانين وأربعمائة، وأشار إلى أنه يبقى بأيديهم إلى تمام خمسمائة وثلاثٍ وثمانين سنة[7].

3.2. أهم مؤلفاته: "تفسير القرآن" لم يكمله كتب فيه على طريق الصوفية ، وكتال "شرح أسماء الله الحسنى"[8]، قال حاجيّ خليفة ((وهو كتاب كبير جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المائة والثلاثين، كلّها مشهورة مرويّة، وفصّل الكلام في كل اسم على ثلاثة فصول. الأول: في استخراجها. الثاني: في الطريق إلى تقريب مسالكها. الثالث: في الإشارة إلى التعبّد بحقائقها))[9].

---

1 - سورة ياسين، الآية 12.

2 - سورة الأعراف، الآية 145.

3 - سورة الأنبياء، الآية 16

4 - سورة يونس ، الآية 05.

5 - غرميني، المرجع السابق ، ص ص 123 – 126.

6 - نفس المرجع ، ص 128.

7 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12 ص484.

8 - ابن الابار، التكملة ، ج3رص21 والزركلي ج 4ص6.

9 - حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ،ج2 ص1031.

4.2.موقف الفقهاء ودولة المرابطين من الفلسفة الصوفية لابن برجان. قال الذهبي((أخذ " الأمير علي بن يوسف" هذان، وغرّبا، واعتقلا، توهّم ابن تاشفين أن يثورا عليه كما ففعل ابن تومرت)) يقصد بن العريف وابن برجان [1].

5.2.أتباع ابن برجان. كان أتباع ابن العريف أكثر من أتباع ابن برجان عددا رغم أن ابن العريف كان في النهاية مريدا لابن برجان، من تلامذته القليلين عبد الله بن محَّمد المالقي (ت574 هـ) صار في العهد الموحدي شيخا لطلبة المدينة ورئيسا في النظام التعليمي واكتفى بالجانب العلمي، والصوفي محَّمد بن عبد الله بن خليل القيسي من اشبيلية غلب عليه الحديث ت 570هـ بمراكش[2].

من أشهر مريديه عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي الفقيه العالم بالحديث والأدب واللغة وبرز في سلوك عبد الحق الاشبيلي تأثير تربية ابن برجان فكان يقبل على الوعظ والتذكير والتصوف، وكان له كتاب في الرقائق وديوان شعر في الزهد ، ثم كان لقاؤه بالشيخ أبي مدين شعيب الذي أثر على تصوفه بعد ابن برجان [3].

قال ابن الزيات التادلي في كتاب التشوف ((لما أشخص أبو الحكم ابن بَرَّجان من قرطبة إلى حاضرة مراكش، سئل عن مسائل عيبت عليه، فأخرجها على ما تحتمله من التأويل. فانفصل عما ألزمه من النقد، وقال أبو الحكم: "والله لا عشت ولا عاش الذي أشخصني بعد موتي. يعني السلطان. فمات أبو الحكم. فأمر السلطان أن يطرح على المزبلة، ولا يصلى عليه، وقلد من تكلم فيه من الفقهاء، لكن الإمام الصوفي الشهير أبا الحسن علي بن حرزهم استنفر خديمه لكي ينادي في الأسواق " احضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن بَرَّجان، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله" فاستجاب أهل مراكش للشيخ))[4].

3. أبو القاسم احمد بن القاسم بن قسي م ت 546هـ/1151م. المتصوف السياسي الثوري .

1.3. تعريف ابن قسي .هو رومي الأصل من بادية شلب من ابناء أثرياء المولدين عرفوا بنفوذهم وتوليهم

---

1 - الذهبي، تاريخ الاسلام،ج36ص ص 316 ،317.

2 - الغرميني، المرجع السابق، ص 130.

3- نفس المصدر ، ص 132.

4 - ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى(ت617هـ/1220م):التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ،تحقيق أحمد توفيق،ط2،كلية الآداب بالربط المملكة المغربية1997م. ص 170.

للوظائف المخزنية ومناصب القضاء في العهد المرابطي استعرب ، تأدب وقال الشعر ثم عكف على التصوف فكثر مريدوه ، اشتغل بالأعمال المخزنية ثم اتجه الى الزهد ربما بعد لقائه بابن العريف قبل أن يستدعيه المرابطون الى مراكش، وابن قسي من الثائرين بالأندلس على المرابطين بعد عودته ، ادعى المهدية وتسمى بالإمام ثم خاض ثورة على المرابطين ثم سالم الموحدين الى الموحدين سنة 540هـ م ثم عاد إلى الثورة على الموحدين و في الأخير قتله أهل مدينة شلب[1] .

2.3.ثورة ابن قسي 539–540هـ أو ثورة المريدين. مما ذكره الذهبي قوله ((كان في بدء أمره على سنن الجمهور ثم نزع عن ذلك وأقبل على التصوف واقتفى سبيلهم في تحريف النصوص وتأويل الظاهر ثم رحل إلى ابن العريف بالمزيلة، وأقام عنده وكثر أتباعه فنمى الأمر إلى علي بن يوسف بن تاشفين ... وعاد بن قسي إلى اشبيلية وابتنى مسجدا ببعض قراها وتحدث بالأباطيل من غزا وجد طعم العسل من لبنها وزنابير من بطون الثمار))[2].

قال عنه المؤرخ المراكشي ((وقام بمغرب الأندلس دعاة فتن ورؤوس ضلالات؛ فاستفزوا عقول الجهال، واستمالوا قلوب العامة، من جملتهم رجل اسمه أحمد بن قَسِيٍّ كان في أول أمره يدعي الولاية، وكان صاحب حيل ورب شَعبذة ، وكان مع هذا يتعاطى صنعة البيان وينتحل طريق البلاغة، ثم ادعى الهداية؛ بلغني ذلك عنه من طرق صحاح))[3].

3.3.تصوف ابن قسي. يبدو على ابن قسي تأثره بمن عاصره من المتصوفة كابن العريف والمتصوف أبي حامد الغزالي من خلال كتابه الإحياء ويبدو تأثره كذلك بدعوة ابن تومرت لما ادعى المهدية[4] ومدرسة ابن مسرة ويظهر ذلك من خلال قوله :

أَقَامَ على ساقِ المسرَّة نجلها لما رمز الأسرَارَ واستمطر المزَنا[1]

---

1 - ابن الأبار محَّمد بن عبد الله (ت 658هـ): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس،ط2، دار المعارف – القاهرة 1985م .ج2ص198،الزركلي المرجع السابق ،1ص116.

2 - ابن حجر، المصدر السابق ، ص1ص 247 .

3 - عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين،ط1 ، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت 1426هـ /2006م ، ص155.

4 -ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ص 198.

ألف ابن قسي كتابا في التصوف بعنان "خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين مختصر في التصوف"، شرحه محيي الدين ابن عربي[2] ضمنه أفكاره الصوفية نلخصها في ثلاثة عناصر :

- **الوجودي الإلهي**: اقتبسها من خلال قوله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾[3] ،فسرها أنه يستوي أن تدعو الله عزّ وجل باسم من أسمائه ، ولله أسماء ذاتية لا علم للناس بها .
- **الوجودي الكوني ويقسمه الى ستة أقسام:**

✓ الموجود الأول: ليس هو ''الله'' الصفات التي يتحقق بها اسم الله (كالقدرة والإرادة والسمع والبصر

✓ الموجود الثاني: وهو فلك الرحمة أو العرش الكريم، خلقه الله من ظاهر الموجود الأول، وخلق من ظاهره روح القدس وهو العرش الذي استوى عليه الرحمن.

✓ الموجود الثالث: هو الكرسي والعرش العظيم الذي خلق الله من ظاهره القلم الأعلى واللوح المحفوظ وإليه تنتهي ملاحظة العارفين ومكاشفة النبيّين والمرسلين ما عدا ''محَّمد'' (ص) فإنه كوشف بما فوق ذلك وشاهد حضرة القرب من الله.

✓ الموجود الرابع: فلك العرش المجيد الذي خلق الله من ظهره جبريل –أي عالم الملائكة– عالم السر والوحي.

✓ الموجود الخامس: فلك السماء الذي خلق الله من ظاهره آدم، أي العالم الإنساني.

✓ الموجود السادس: فلك الأرض الذي خلق الله من ظاهره الحيوانات والحشرات.

- **مسألة المعرفة: مصدرها ومنهجها. يرى ابن قسي أن المعرفة نوعان .**

✓ نقلية (الإخبارية) طريقة تلقيها الرسل والأنبياء

✓ الالهامية (الكشفية) تنكشف تلقائيا بغير واسطة ولا وساطة للناسك المتعبد، يحصل النَّاسك عن طريق الإيمان الصادق فيحصل معناها ذوقا يمنحها الله سبحانه وتعال بدون وسائط، وهي تطابق قول ابن مسرة بأن النبوة مكتسبة قد يصل إليها النَّاسك المتعبد. يكون ابن قسي بذلك قد اعتمد بهذا

---

1 - الششتري، بو الحسن: ديوان أبي الحسن الششتري،ط1، تحقيق علي سامي ، دار المعارف الإسكندرية 1960 ص75.

2 - الزركلي ، المصدر السابق ، ج1 ص116.

3 - سورة الاسراء ، الآية 110.

التصنيف على الاصطلاحات القرآنية التي أخضعها لتأويلاته الباطنية التي تبعدها على معانيها الحقيقية ، فعنوان كشف النعلين استنبطه من الآية ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[1].

4.3.أثر فكر ابن قسي الصوفي . كان لفكر ابن قسي الصوفي صداه في تصوف ''ابن سبعين'' (ت 668هـ) وقد ذكر ''الششتري'' (ت 668هـ) ابن قسي في عداد شيوخ الطريقة السبعينية، يقول الششتري في قصيدته النونية التي يضع فيها سلسلة السند للطريقة الصوفية السبعينية كما تأثر بالمسرية :

وَلِابن قَسِيٍّ ''خَلعُ نَعلِ'' وُجُودِهِ وَلَبِسَ مِنَ اَلأَسرَارِ فَاستَقطَرَ اَلمزنَا[2]

يظهر أن أبا بكر بن عربي قد تأثر هو كذلك بفكره الصوفي الباطني فقام بشرح كتابه شرح خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين.

الاستنتاج.

ظهر أن العهد المرابطي في الأندلس قد شهد نمو حركة التصوف العرفاني والتصوف الباطني ، وتبين أن الفكر الصوفي المسري لم ينقطع تأثيره على صوفية الأندلس والغرب الإسلامي ويظهر ذلك في أفكار ابن قسي وغيره من صوفية الباطن.

---

1 - سورة طه ، الآية 11 . محَّمد العدلوني: الإدريسي فلسفة ابن قسيّ الصوفية: وأثرها على التصوف المتأخر بالمغرب الإسلامي، مجلة حكمة ، تاريخ الاطلاع 24 2022/10، https://hekmah.org/

2 - الششتري أبو الحسن علي بن عبد الله النميري : ديوان أبي الحسن الششتري،ط1، تحقيق علي سامي النشار دار المعارف الإسكندرية 1960. ص75.

المحاضرة رقم 11: تصوف محيي الدين بن عربي(558-638هـ) بين الأندلس وبجاية وبلاد المشرق

المقدمة.

نتناول في هذه المحاضرة الفكر الصوفي عند أحد أشهر الصوفيين الباطنين في العالم، إنه الصوفي أبو بكر ابن عربي صاحب تصوف وحدة الوجود، وسنعرف ابن عربي ومذهبه في التصوف ومختلف الآراء التي تناولت فكره الصوفي.

1. تعريف ابن عربي ، تعليمه ومؤلفاته.

1.1 تعريف ابن عربي. هو محَّمد بن علي بن محَّمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بمحيي الدين بن عربي ، أحد أشهر المتصوفين لقبه مريدوه بالشيخ الأكبر وسلطان العارفين وابن أفلاطون ولقبه الغبريني بابن سراقة ؛ولد في مرسية قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتقل الى اشبيلية ثم قام برحلته مارا على بجاية سنة597هـ بعد مغادرة الشيخ أبا مدين شعيب المدينة ووفاته بتلمسان ، فاخذ عن شيوخها ثم رحل إلى المشرق، واستقر في الأخير بالشام، توفي بدمشق ودفن بقرية الصالحية في سفح جبل قاسيون.

لما انتقل ابن عربي الى اشبيلية مع أبيه عكف على تعلم علوم الدين والأدب والتاريخ والاطلاع على كتب التصوف ، ومن أشهر شيوخه الأندلسيين أبو العبَّاس بن الهمام وأبو على الشكاز .

2.1.مؤلفاته:خلف ابن عربي ما يربو عن مائتي مؤلف قدم فيه آراءه الصوفية ، نذكر منها .

- عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب.
- كتاب تفسير ابن عربي ويضم تفسيره للقرآن.
- كتاب الفتوحات المكية، (من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق –كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلا كبيراً في وقته ولازال مصدراً للجدل.

- ديوان ترجمان الأشواق، الذي خصصه لمدح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة 598 هـ عندما قدم إليها لأول مرة قادما من المغرب.
- كتاب شجرة الكون، يتحدث فيه عن الكون مشبها إياه بشجرة أصلها كلمة "كُنْ"
- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام.
- فصوص الحكم.
- كتاب اليقين، تناول فيه موضوع اليقين الذي شغل عديدا من فلاسفة ذلك العصر[1].

2.عموم مذهب محي الدين ابن عربي في التصوف.

جاء تصوف ابن عربي مزيجا بين التصوف وفلسفة وحدة الوجود ربما متأثرا بمؤلفات إخوان الصفا والحلاج وغيرهما وأفكار التشيع خاصة المهدية .

1.2. تعريف وحدة الوجود. على كثرة معاني وحدة الوجود عند اللغويين وأهل الكلام والفلسفة ، فوحدة الوجود عند محي الدين بن عربي هو وأن يكون الشيء حاصلا في الشيء ومختصاً به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً أو تقديرا ، وهو قسمان :

- خاص يقصد به حلول الرب في بعض مخلوقاته.
- عام وهو حلول الربّ في كل مكان.

أما الاتحاد فمصدر من اتحد يتحد وهو الانفراد، كما يعني كون الأشياء شيئاً واحداً وهو اتحاد شيء مع شيء آخر بنحو يصبح الاثنان شيئاً واحداً، وذلك عندما تزول من الإنسان صفات الجسم وكل ما هو غير روحاني وهو قسمان خاص وعام على نحو الحلول، فالحلول يقارب معنى الاتحاد من حيث أنه صيرورة الشيئين شيئاً واحداً، لذا يقال عن الاتحادية أحياناً بأنهم حلوليه [2]

2.2. الناقدون لفكر ابن عربي الصوفي . يقول ابن خلدون ((ثمّ إنّ هؤلاء المتأخّرين من المتصوّفة المتكلّمين في الكشف وفيما وراء الحسّ توغّلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا

---

1 -الغبرِيني أحمد بن أحمد (ت 714هـ):عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة ط2،تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت1979 م. ص ص 156- و174الزركلي،ج6ص ص281، 282

2 - أمل عوض الكريم محَّمد سعيد القرشي: أثر فكر ابن عربي في أسس الفلسفة لما بعد الحداثة" وحدة الوجود، والموقف من العقل " دراسة تحليلية نقدية، **مجلةً الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية**، قسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية المجلد الثاني العدد الأول (جوان 2018 م). ص 120.

الصّحف منه مثل الهرويّ في كتاب المقامات له وغيره. وتبعهم ابن العربيّ وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنّجم الإسرائيليّ في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليّة)) [1].

يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان ((...وصنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة فقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة وعدها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين وعدها طائفة من متشابه القول وإن ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان وأنه صحيح في نفسه كبير القدر وآخرون يقولون قد قال هذا الباطل والضلال... وقد اعتد بمحيي بن عربي أهل عصره فذاكره بن النّجار في ذيل تاريخ بغداد وابن نفطة في تكملة الإكمال وابن العدم في تاريخ حلب والذكي المنذري في الوفيات وما رأيت في كلامهم تعديا على الطعن كلهم ما عرفوها أو ما اشتهر كتابه" الفصوص" نعم قال ابن نفطة لا يعجبني شعره وأنشد له قصيدة منها.

لقد حار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير الرهبان

وبيتا لأصنام وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

وهذا على قاعدته في الوحدة))[2].

يقول ابن حيان الأندلسي في البحر المحيط ((ومن بعض اعتقاد النَّصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهرا، وانتمى الى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج والشعوذي وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين – وعدَّ جماعة ثم قال: "وإنما سردت هؤلاء نصحا لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله، ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله))[3].

يقول ابن تيمية في اعتقاد اين عربي بفكرة وحدة الوجود متحفظا ((مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم، وهي مع كونها كفراً فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد الكثير، ولأنه لا يثبت

---

1 - ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ج1ص619.

2- ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان، ج5 ص 312 ،313.

3 - أبو حيان محَّمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي: البحر المحيط في التفسير ،تحقيق صدقي محَّمد جميل، دار الفكر – بيروت1420هـ. ج4 ص 210.

على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه)) .

3.2. المدافعون على تصوف ابن عربي. نذكر منهم شهاب الدين المقري في كتاب " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" ((وما وقع لأبي حيان وابن حجر في تفسيره من إطلاق اللسان في هذا الصديق وأنظاره فذلك من فلس الشيطان. والذي أعتقده ولا يصح غيره أنَّ الإمام أبي عربي ولي صالح وعلام ناصح وإنما فوق إليه سهام الملامة من لم يفهم كلامه على أنَّه دست في كتبه مقالات يجل قدرها عنها وقد عرض من المتأخرين ولي الله الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركاته لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدره أهل التحقيق فليطالع ذلك ما أراده والله ولي التوفيق))[1].

يقول الشوكاني في كتاب " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع "((وَقد أوضحت فِي تِلكَ الرسَالَة حَال كل وَاحِد من هَؤُلَاءِ وأوردت نُصُوص كتبهم وبينت أَقوَال العلمَاء فِي شَأنهم وَكَانَ تَحرِير هَذَا الجَواب فِي عنفوان الشَّبَاب وَأَنا الآن أتوقف فِي حَال هَؤُلَاءِ وأتبرأ من كل مَا كَانَ من أَقوَالهم، وأفعالهم مُخَالفا لهَذِهِ الشَّرِيعَة البَيضَاء الوَاضِحَة التي ليلها كنهارها، ولم يتعبّدني الله بتكفير من صَار فِي ظَاهر أمره من أهل الإِسلَام ، وهب أَن المرَاد بِمَا فِي كتبهم وَمَا نقل عَنهُم من الكَلِمَات المستنكرة المعنى الظَّاهِر والمدلول العربي وَأَنه قَاض على قَائِله بالكفر البواح والضلال الصراح فَمن أَين لنا أَن قَائِله لم يتب عَنهُ وَنحن لَو كُنَّا فِي عصره بل فِي مصره بل فِي منزله الذي يعالج فِيهِ سَكَرَات الموت لم يكن لنا إِلَى القطع بِعَدَمِ التَّوبَة سَبِيل لِأَنَّهَا تقع من العَبد بِمُجَرَّد عقد القلب مالم يُغَرغر بِالموتِ فَكيف وبيننا وَبينهم من السنّين عدَّة مئين))[2].

الاستنتاج.

كان التوجه العام لحركة التصوف في الأندلس الأخذ بالزهد القائم على النصوص النقلية والاهتمام بترقية السلوك ، ثم اتجهت الى التصوف العقلي والفلسفي. وتبقى مدرسة ابن مسرة أول مدرسة تصوف أندلسية

1- المقري شهاب الدين أحمد بن محَّمد (ت 1041ه):أزهار الرياض في أخبار القاضي عيا، تحقيق مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة1358 ه - 1939. ج3 ص ص 55، 56.

2 - الشوكاني محَّمد بن علي (ت 1250ه):البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت (د ت ط) .ج2 ص 37.

ذات طابع فلسفي .

يظهر على بعض صوفية الأندلس ربطوا بين التصوف والنشاط السياسي ضد المرابطين بالخصوص.

يظهر أن الفكر المسري لم ينقطع تأثيره على متصوفة الأندلس والغرب الإسلامي نلاحظ ذلك من خلال أفكار ابن قسي ثم من ابن قسي الى الفيلسوف الصوفي لأبي بكر بن عربي.

المحاضرة رقم 12: التيار الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12-13م.

المقدمة.

سنتعرض في المحاضرة الى التصوف الذي قام على المجاهدات والوعظ والتذكير والترغيب الترهيب مع الميل الى الخلوة والانقطاع [1].

سنركز بالخصوص في المغرب الأوسط على حاضرتي بجاية وتلمسان باعتبارهما حاضرتين مركزيتين كانتا مقصد أهل العلم عامة والمتصوفة خاصة من مختلف بلدان بلاد المغرب والأندلس والمشرق.

1.بعض متصوفة بجاية في القرنين 6 و7 الهجريين .

نبدأ عذا العنصر بقول الباحث محمد شريف سيدي موسى عن تعدد الفرق الصوفية ببجاية خلال هذه الفترة جاء فيه ((و قطعت الحركة الصوفية ببجاية و في سائر المغرب الإسلامي أشواطا بعيدة في القرن الثامن الهجري و أحرزت تقدما ملحوظا ، و هو ما أكده لنا الفيلسوف اللاهوتي ريمون لول (1233 . 1316م)، حيث ذكر جملة من الملاحظات عن حياة الاجتماعية ببجاية أثناء زيارته الثانية لهذه المدينة سنة 1307م ، فوجد فيها فريق من العلماء المتصوفة يؤمنون بالتفكير الفلسفي و الصوفي ، وفريقا آخر متشبثين بتعاليم أبي مدين شعيب الصوفي السني و فريق آخر يتزعمه الفقهاء الميالين إلى تقليد الشيوخ. ويبدو أن هذا الفريق هو الذي كسب المجتمع البجائي في النهاية لأن العديد من الفقهاء اعتنقوا هذا التصوف العملي في الأخير))[2].

---

1 - أنظر في تفاصيل هذا التصوف طاهر بو نابي: عصر المتصوفة في المغرب الأوسط الباب الثاني المدارس الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس و السابع الهجريين ، ص ص 172- 257.

2 - سيدي موسى، المرجع السابق، ص ص 155، 156.

1.1.الفقيه المحدث والقاضي أبو محَّمد عبد الحق الاشبيلي. الأزدي الإشبيلي الخطيب والأمام المدرس بالمسجد الأعظم ببجاية المعروف بابن الخراط (ت581هـ/1185م)؛ كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث من تلاميذ ابن برجان ومتأثرا بمدرسة ابن العريف، ارتحل الى بجاية وتزعم التيار الصوفي.

لعبد الحق الاشبيلي من التصانيف في التصوف "العاقبة في ذكر الموت" ، وكتاب "الصلاة والتهجد" ، وكتاب "الزهد" ، كتاب جامع لأشعار في الزهد[1].

من شعره في الزهد قوله

قالُوا صف الموت يَا هَذَا وشدته فَقلت وامتد مني عِندهَا الصَّوت

يكفيكم مِنهُ إِن النَّاس إِن وصفوا أمرا يروعهم قَالـــــوا هُوَ الموت[2]

يقول الغبريني ((سمعت إنه رحمه الله كان يقسم ليله أثلاثا، ثلثا للقراءة، وثلثا للعبادة، وثلثا للنوم. وكان مع ذلك متقللا من الدنيا، مقتصرا على أقل الكافي منها، وكان مصاحبا ومواليا للفقيه أبي علي المسيلي رحمه الله)) [3]، ولقي عبد الحق الاشبيلي الشيخ أبا مدين شعيب ببجاية، فمدحه بقوله ((هذا وارث على الحقيقة))[4].

2.1.الفقيه المتصوف أبو زكريا يحي الزواوي الحسني البجائي (ت 611هـ) ، قدم من بني عيسى ببلاد زواوة ، وكان قد بدأ تعليمه بقلعة بني حمَّاد عند الشيخ الفقيه المحدث أبي عبد الله ابن الخراط (ت581هـ /1185م) وغيره، ارتحل إلى المشرق، ولقي فضلاء الفقهاء وأهل الطرق الصوفية[5]، يقول الغبريني أنه اتجه الى ترك الدنيا والانقطاع إلى الدار الآخرة ، وجلس بها لنشر علوم الحديث و الفقه و ما يسميه (بعلوم التذكير)، ويضيف ((ولم يكن أحد أجلد منه على القيام والصيام، وما كان عيشه، رضي الله عنه، إلا من المباح كالبقول المطروحة وما جرى مجراها وإذا اشتهى اللحم ينزل إلى البحر فيصيد السماك على الأحجار، وهي لحمه رضي

---

1 - الغِبرِيني أحمد بن أحمد (ت 714هـ):عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة ط2،تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت1979 .ص 218.

2 - ابن الأبار ، المصدر السابق، ج4 ، ص58.

3 - الغبريني ، المصدر السابق، ص 41 ،42 .

4 - نفسه.

5 - نفس المصدر ، ص 127.

الله عنه، وما من ناحية من النواحي إلا وله فيها مسجد معلم))، كراماته حسب الغبريني أكثر من أن تحصى[1].

3.1.أبو العبَّاس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى(ت 644هـ).الذي رحل إلى المشرق ولقي أهل العلم ، ولما رجع إلى المغرب وسكن بجاية أقرأ بها وأسمع ط**بتها**، له علم بالعربية والفقه وأصول الدين، يقول الغبريني ((وحظ من التصوف ونصيب من العبَّادة، وكان موقرا محترما مهابا))[2].

4.1.أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنجلاتي(ت 690هـ). كان ممن اتجه إلى الانقطاع والخلوة، العالم بالفقه وأصول الفقه، وعلم العقائد ووصفه الغبريني بالصالح المتعبد، الوجيه المبارك ، ويضيف و((كان منقبضا عن النَّاس منقطعا عنهم ومشرفا ومكرما، فيهم، وزاره بعض ملوك وقته في
منزله، وانقطع في آخر عمره انقطاعا كليا حقيقيا، وانزوى عن النَّاس إلى أن توفى))[3].

5.1.أبو الحسن علي بن محَّمد الزواوي البتورغي (القرن7 هـ يقول الغبريني عن تصوفه ((له عبادة وديانة، وصلاح وانقطاع، وزهد وولاية. وكانت له كرامات ظاهرة متواترة، وكان على سنن السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين، ليس عنده من التحريف ولا من التبديل ولا من خزعبلات المتلبسين شيء... و ينسب له الاستجابة عند الدعاء أمام قبره و زاد الغبريني ((وأخبرني بعض من وثقت به، إنه لما حضرته الوفاة حضر ولده وبكوا عليه لفراقه واستوحشوا، فقال: "لا عليكم، مهما أصابكم أمر أو عارض فأتوا إلى قبري واذكروا شكواكم واسألوا الله يفرج عنكم" وما زال أولاده بعده مهما))[4]، و تبين هذه الرواية ان صحت إقبال النَّاس على التبرك بقبور الأولياء على الأقل في القرن السابع هجري ببجاية

6.1.محَّمد بن الحسين بن أحمد الميورقي(ت537هـ). كان على مذهب الظاهر ومن الذين أخذ عنه العلم بالأندلس الفقيه الزاهد أبا علي الصدفي، وكان من الذين امتحنهم الأمير المرابطي علي بن يوسف صحبة ابن برجان وابن العريف، عاد بعدها الى الاندلس ثم رحل الى المشرق وآخر مقامه ببجاية[5].

---

1 - نفسه.

2 - نفس المصدر، ص188.

3 - نفس المصدر، ص 265.

4 - نفس المصدر، ص 125.

5 - ابن الأبار، التكملة ، ج1 ص 359 والأنصاري الذيل والتكملة، ج4ص 185، 186 .

2. بعض متصوفة تلمسان في القرنين 6 و7 الهجريين التيار الصوفي ببجاية .

1.2.الشيخ الأمير أبو زكريا يحي بن بوغان أو يوغان أو برغتن الصنهاجي (ت536هـ)، كانت توبته على يد شيخه أبي محَّمد بن عبد السلام التونسي ، قال يحي ابن خلدون ((ولحق بأولياء الله المستسقى بهم الغيث بعد موت شيخه بالبرية يرعى شاتين له ويقتات بلبنهما بتلمسان))[1].

2.2.أبو عمرو عثمان بن علي بن الحسن التلمساني (ت 542هـ). توفي بسجلماسة قال الزيات ((كان كبير الشأن من أهل العلم والعمل وكان يختم القرآن في كل ليلة))[2].

3.2. أبو عبد الله العربي رضي الله عنه(أوائل القرن 6 الهجري). قال الغبريني ((ومنهم الشيخ المبارك الصالح الفاضل الواصل، أبو عبد الله العربي رضي الله عنه. كان من أولياء الله المقربين، ومن عباد الله الذين هم لمعالم العلي أخص الوارثين)) كان من الأميين وينسب له الغبريني كرامات كثيرة وسلوكا فيه بعض الغرابة[3].

4.2.ابن الحجام أبو عبد الله اللخمي التلمساني (ت 614هـ). الخطيب الواعظ الضرير، قال النَّاصري في الذيل و التكملة ((كان فاضلًا صالحا زاهدًا ذا حَظّ من الأدب وقَرض الشِّعر، أكمَهَ، مالَ إلى طريقةِ الوعظِ والتذكير... ولم يكن يَدَّخرُ من عَطاياهُم قليلًا ولا كثيرًا، إنّما كان يَصرِف ما يصل إليه من بني عبد المؤمن وغيرِهِم في الفقراءِ والمساكين والمحتاجينَ وتجهيزِ الضَّعيفاتِ إلى أزواجِهنّ هذا كان دأبَه إلى غايةِ عُمُرِه نفَعَه الله ...له كتاب "حجة الحافظين و محبة الواعظين، وكان فاضلًا صالحا زاهدًا ذا حَظّ من الأدب وقَرض الشِّعر، أكمَهَ، مالَ إلى طريقةِ الوعظِ والتذكير))[4]. انتقل الى مراكش طلبه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور واختص بصحبة الصوفي أبي زيد الفزازي، أما المؤرخ ابن خلدون فقال ((كان فاضلا صالحا زاهدا ...واعظ أهل زمانه)).

قال في البحر الوافر:

---

1 - يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ط1، مطبعة بيير فونتانا الشرقية الجزائر 1331هـ/1903م . ج1 ص ص 23، 24.

2 - التادلي ابن الزيأت أبو يعقوب يوسف بن يحيى(ت617هـ/1220م):التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ،تحقيق أحمد توفيق،ط2،كلية الآداب بالربط المملكة المغربية1997. ص 140.

3 - الغبريني، المصدر السابق، ص 49.

4 - الأنصاري محَّمد بن محَّمد بن عبد الملك (ت 703 هـ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محَّمد بن شريفة، بشار عواد معروف،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2012 م. ،ج5 ص 142.

غَريبَ الوَصفِ ذو علم غَيبٍ عَلِيلَ اقب من حُبِ الحبيـــب

إذا ما اليل أظلم قـــــام يبكي ويشكو ما يجن من النجيـب

يقطع ليله فكـــــرا وذكـــــرا وينطق فيه بالعجب العجيـب

به من حب سيده غـــــــرام يجل مـن التطبب والطبيـــب

ومن يكن هكذا عبدا محبـــا يطيب ترابه مـــن غير طيب[1]

5.2. الفقيه الأصولي والعالم باللغة عبد الرَّحمَن بن يخلفتن بن أَحمد اليجفشي الفازازي(ت 627). ولد بقرطبة وَنَشَأ بهَا ثمَّ سكن تلمسان وَغَيرهَا ، قال ابن الأبار ((وَكَانَ عَالما بالآداب متصرفا فِي فنونها كَاتبا بليغا شَاعِرًا مجودا وافر المادَّة قوي العَارِضَة مشاركا فِي أصُول... الفِقه ذَا معرفَة بِعلم الكَلَام نَاظرا فِي الفِقه كتب للولاة دهرا طَويلا وتجول بِبِلَاد الأندلس والعدوة كثيرا وَله فِي الزّهد أشعار سَمِعت مِنهُ وسارت عَنهُ وَمَال إِلَى التصوف وَشهر بِهِ وَغلب عَلَيهِ الأَدَب مَعَ الميل إِلَى علم التصوف وصحبة المريدين وَالسَّعي فِي مطالبهم والتشدد عَليّ أهل البدع))[2].

6.2. أبو إسحاق الطيار وصفه يحيى ابن خلدون بالغوث .الذي لم يضطجع أربعا وعشرين سنة، صائما بالنَّهار قائما بالليل، وكان قبره مزارا يتوسل به عامة النَّاس بتلمسان[3].

7.2.الشيخ عبد الله بن عبد الواحد المجاصي البكاي. قال يحيى بن خلدون أنه كان من رجال الحديث والزهد كثير البكاء في الصلاة ذا مواعظ حسنة ، نقل يحيى ابن خلدون أنه كان لا يرفع رأسه للسماء أبدا من خشية الله ، نسب له أنه حجّ بحمار لا يركبه إلا عند الاعياء[4].

الاستنتاج.

1 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1 ص 27.

2 - ابن الأبار، المصدر السابق،ج3 ص ص47، 48.

3 - نفس المصدر ، ص 33.

4 - نفس المصدر ، ص ص 33 ، 34

ظهر من خلال ما سبق أن التيار الصوفي بالمغرب الأوسط القائم على المجاهدات والوعظ والتذكير والترغيب الترهيب والميل الخلوة قد عرف تواصلا في الانتشار في أوساط أهل العلم خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين.

المحاضرة رقم 13:التيار الصوفي العرفاني في بلاد المغرب والأندلس.

المقدمة.

وضع الباحث طاهر بونابي تحت عنوان مدارس التصوف العرفاني ، مجموعة من المدارس الصوفية امتد نشاطها في الغرب الاسلامي، وتضم المدرسة الغزالية ، والمدرسة المدينية والماجرية والشاذلية[1] .

تعريف التصوف العرفاني . التصوف العرفاني هو تصوف قائم على بلوغ المراتب العليا التي تقرب الانسان من ربه عن طريق المجال المعرفي من أجل بلوغ المعرفة العليا ، وهو من أشكال تطهير الروح والنفس والوصول الى تفتح الوعي نحو الارتقاء الى الحكمة الكونية والإلهية ،وترجمت كلمة العرفان الى gnosis باليونانية (الغنوصية عند الذين عربوا الكلمة) ،فالتصوف عند الصوفية العرفانية تتطلب جهدا معرفيا وزهديا وليست إلهاما يحل بالمتصوف[2].

1.المدرسة الغزالية. (450 – 505 هـ / 1058 – 1111 م)

1.1.تعريف الإمام الغزالي. هو أبو حامد محَّمد بن محَّمد بن محَّمد الغَزَالي الطوسي(نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غَزَالة من قرى طوس)، عرف بحجة الإسلام، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان)، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام ومصر، وعاد إلى بلدته، من كتبه "إحياء علوم الدين" و "تهافت الفلاسفة " و "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" و "فضائح الباطنية قسم منه، ويعرف بالمستظهري، وبفضائح المعتزلة وكتاب "منهاج العابدين، قيل هو آخر تآليفه[3].

---

1 - أنظر بو نابي ، عصر التصوف في المغرب الأوسط ،ج1 ص ص 192- 226.

2 - محَّمد شوقي زيان: التصوف، العرفان ، الكنان : غربلة في المصطلح وقفزة في الرؤية، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد 1 ، العدد 1 ،14جوان 2018م. ص ص 8-40.

3 - الزركلي، المرجع السابق، ج7 ص 22.

كان الغزالي فيلسوفا وبرر اهتمامه بالفلسفة قائلا((ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام وبعلم الفلسفة ، وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم.. فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب.. ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطَّلعت على ما فيه من خداع، وتلبيس وتحقيق وتخييل، واطلاعاً لم أشك فيه))[1].

أخذ الغزالي الطريقة عن الشيخ الصوفي الشيخ الفضل بن محَّمد الفارمذي الذي تأثر به كثيرا حتى ترك المدرسة النظامية واتجه للعزلة والسفر مدة إحدى عشرة سنة ، جاء في المنتظم((وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية، وقال: إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمذي، وامتثلت ما كان يشير به من وظائف العبادات واستدامة الذكر إلى أن جزت تلك العقبات وتكلفت تلك المشاق وما حصلت ما كنت أطلبه)) [2] .

قسم كتاب إحياء علوم الدين إلى أربعة أجزاء بعد مقدمة عن العلم والتفريق بين أنواعه، وعادة مايستفتح الربع بشرح واستدلال بآية من القرآن الكريم ثم بحديث ثم بأخبار الصحابة ثم بأخبار الصالحين:

- ربع العبادات كالصلاة والزكاة والحج موضحاً لبعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بأثر العبادات هذه على قلب الإنسان
- ربع العادات كالزواج والعمل لاكتساب الرزق
- ربع المهلكات كالغرور والتكبر وحب الدنيا والجاه والإفراط شهوتي الطعام والجنس وجعلهما باباً واحداً
- ربع المنجيات بدأه بالتوبة وأن حقيقتها معرفة الله ثم الخجل منه فالندم والاعتذار، ثم تكلم عن الصبر والخوف من الله وعبادة التفكر[3].

---

1 - أبو حامد محَّمد بن محَّمد الغزالي الطوسي: (ت 505هـ):المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الجلال ،تحقيق، تحقيق محَّمد محَّمد أبو ليلة ونور شيف عبد الرحيم رفعت ،جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية 2001، مصر. ص178.

2 -ابن الجوزي محَّمد جمال الدين بن علي (ت 597هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محَّمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1412 هـ - 1992 م. ج17 ص ص125، 126.

3 - أنظر فهرس كتاب إحياء علوم الدين ،ط1، دار المنهج للنشر والتوزيع جدة المملكة العربية السعودية 1432هـ/2011م.

2.1.تأثر المغاربة بتصوف الامام الغزالي. تأثر المغاربة بكتاب إحياء علوم الدين وأدخله بعضهم إلى حواضرها في الأندلس وكل بلاد المغرب ، ففي المغرب الأوسط في أوائل القرن 6 هـ دخل كتاب الإحياء قلعة بني حماد وتلمسان وبجاية . من العوامل الفاعلة في نشأة هذا التيار في المغرب الأوسط حلول كثير من الوافدين من المغرب الأقصى والأندلس إلى المغرب الأوسط في العهد الحمادي، تجنبا لمضايقات المرابطين لهم في بلدانهم. نذكر من هؤلاء القادمين الى المغرب الأوسط أبا الفضل بن النحوي الوزري التلمساني المجتهد، النحوي، الناظم، والفقيه (ت 513هـ) انتقل الى سجلماسة ثم من فاس إلى القلعة، قال الشاعر المؤرخ محَّمد بن علي بن حماد: "كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علما وعملا" وقال ابن الزيات: " ولما عاد أبو الفضل على القلعة (قلعة بني حماد) أخذ نفسه بالتقشف، وهجر اللين من الثياب ولبس الخشن من الصوف، وكانت جبته الى ركبته". وهو صاحب "المنفرجة" التي مطلعها: " اشتدي أزمة تنفرجي[1]،وقال المؤرخ أحمد بابا التنبكتي ((كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين مجاب الدعوة حاضرًا مع اللَّه في غالب أمره، له اعتقاد تام بإحياء الغزالي))[2]؛ لما أحرق المرابطون كتاب الغزالي بفتوى فقهاء الأندلس والمغرب الأقصى انتصر ابن النحوي لأبي حامد الغزالي وكتب الى السلطان في ذلك ، وكان قد نسخ الاحياء في ثلاثين جزءا فاذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزء[3] .

من طلبة ابن النحوي أبو عبد الله محَّمد بن علي بن جعفر بن الرمامة (ت 567هـ) مختصر كتاب الاحياء [4]، قال الذهبي في تاريخ الاسلام((وكان عاكفا عَلَى تواليف الغزّاليّ))[5] ، قال ابن الأبار أنه كان

---

1 -عادل نويهض: معجم أعلام الجزائِر - مِن صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان1400 هـ - 1980 م .ص: 329.

2 - أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني (ت 1036 ه): نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ط2، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا،2000 م. ص: 623.

3 -ابن الزيات التادلي يوسف بن يحيى: التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق،ط2 ، مكتبة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1997المملكة المغربية. ص ص 95- 97.

4 - ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص ص24، 25 .

5 - أنظر عبد الملك الأنصاري ، الذيل والتكملة ، ج 5 ص ص 217-220 وج5 ص 353 والذهبي ، تاريخ الاسلام تاريخ الإسلام، ج 39 ص 296.

"عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالِي المسمّى بالبسيط محصلا لنكته وَله تواليف منها "تسهيل المطلب فِي تَحصِيل المذهَب" وكتاب" التقصي عَن فَوَائِد التَّقَصِّي" وكتاب "التَّبيين فِي شرح التَّلقِين" وغير ذلك"[1].

3.1. التيار الغزالي بتلمسان. من أعلم التيار الغزالي بتلمسان عبد السلام التونسي (ت 512هـ) وأبو عبد الله محَّمد محيو بن محيو الهواري، نقل ابن الزيات أن أبا عبد الله محَّمد ابن محيو اشترى الاحياء في سوق تلمسان بأربعة دراهم فقال له عبد السلام التونسي((هذا سفر من كتاب الاحياء للغزالي وقد أرشدك مولاك الى ما تنظر فيه فنسخت الكتاب وعكفت عليه حتى حفظته))،وأبو عبد الله محَّمد بن يوسف بن سعادة ت565هـ/1198م مولده بمرسيه وَتُوفِّي بشاطبة استقر مدة بتلمسان بين سنتي 521-526 ناشرا مصنفات الامام الغزالي[2].

من الجيل الثاني محَّمدُ بن أبي زَيدٍ عبد الرّحيم بن محَّمد بن أبي العَيش الأنصاريُّ الخزرجي تلمساني أندلسي الأصل (النصف الثاني من القرن 6هـ) جمع بين الطريقة الغزالية وطريقة الجنيد [3] .

4.1. التيار الغزالي ببجاية والمسيلة. أبو علي حسن بن علي بن محَّمد المسيلي(ت نحو 580هـ ، قال القاضي الفقيه الغبريني ((ومنهم الشيخ الفقيه الفاضل، العلم العامل العابد، المحقق المتقن المحصل المجتهد، الإمام أبو علي حسن بن علي بن محَّمد المسيلي كان يسمى أبا حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن))[4]، له المصنفات ذكرها الغبريني منها "التذكرة في أصول علم الدين" وكتاب في علم التذكير سماه "التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب "الإحياء" وبه سمي أبا حامد الصغير[5].

5.1. التيار الغزالي بالأندلس . محَّمد بن عبد الله بن محَّمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري (468 - 453 هـ / 1076 - 1148 م): من أهل إشبيلية لقي أبا حامد الغزالي ببغداد وغيره من العلماء

---

1 - ابن الأبار، المصدر السابق ، ج2 ص 158.

2 - أنظر ترجمته عند ابن الأبار التكملة ج2 ص 35 والمقري شهاب الدين أحمد بن محَّمد التلمساني: (ت: 1041هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق إحسان عبَّاس ،ط1، دار صادر- بيروت - لبنان 1997. ج2 ص ص 158، 160،159

3 بو نابي، المرجع السابق، ص ص 195، 196

4 - الغبريني، المصدر السابق، ص 33.

5 - نفسه .

والأدباء فأخذ عنهم وتفقه عندهم، و عند عودته الى الأندلس لم يثبت أنه أدخل كتاب الإحياء و لم يظهر دعوة للغزالية[1] ، و يوسف بن محَّمد الأندلسي ، صحب الامام الغزالي وروى عنه دون أن يجز له[2]، و موسى بن هارون التجِيبِي من أهل وشقة، لما حجّ اتجه الى دمشق فسمع من أبي حامد الغزالِي "بداية الهِدَايَة" و "الرسالة القدسية" وَأَجَازَه في تصانيفه سنة 490هـ وكتب له بذلك[3] والأمير المرابطي ميمون بن ياسين الذي يكون قد جلب بعض الكتب م رحلته المشرقية منها صحيح البخاري و مسلم و لم يذكر ابن الأبار كتاب الاحياء بينما يقول الباحث محَّمد بن الشريفة نقلا عن ابن القطان أنه جلب معه كتاب الإحياء [4]، و عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي المقرئ، يعرف بالألشي حجّ سنة 497 هـ و سمع بمكة تصانيف الغزالي إجازة ،قال ابن الأبار في التكملة ((وَكَانَ زاهدا فَاضلا متصوفا مجاب الدعوَة وَخرج من المرية))و لم يذكر انتماءه للمدرسة الغزالية رغم لقائه الغزالي [5].

2.المدرسة المدينية. (ت 594هـ).

1.2. تعريف أبي مدين شعيب. وصف القاضي المؤرخ الغبريني الشيخ أبا مدين شعيب بن الحسين الأندلسي الغوثي قائلا ((الشيخ الفقيه المحقق، الواصل القطب، شيخ مشائخ الإسلام في عصره، إمام العبَّاد والزهاد وخاصة الخلصاء من فضلاء العبَّاد))[6]، تأثر تكوين أبي مدين شعيب بثلاثة منابع صوفية

- الأندلسية في مقدمتها مدرسة ابن العريف ومتصوفة المغرب الأقصى منهم أبي عبد الدقاق كان يقول ((أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين علم التصوف))[7] وأبي الحسن السلاوي [8]

---

1 - ابن بشكوال ، الصلة ، ص 558.

2 - ابن الأبار، التكملة ج 4 ص 209 .

3 - نفس المصدر ،ج ص 174.

4 ابن الأبار، المصدر السابق،ج2 ص196 ومحَّمد بن شريفة: الأمير المرابطي ميمون بن ياسين حياته وحجه ت530هـ، دعوة الحق 1423هـ/2002م . ص 77 .

5 - ابن الأبار ، المصدر السابق، ج3 ص 25.

6 الغبريني عنوان الدراية،ص.22 .

7 -ابن قنفد القسنطيني ت 810هـ/1408م:أنس لفقير وعز الحقير، اعتنى بتصحيحه ونشره محَّمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محَّمد الخامس كلية الآداب 1965.ص27.

8 -بونابي عصر المتصوفة،ج1ص198.

- بفاس تأثر بالشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم من حاملي تصوف ابن العريف [1] ، وعلي بن خلف بن غالب الأنصاري من شلب من مريدي ابن العريف[2] ،وفي جبل إروجان جنوب مكناسة أبي يعزى يلنور بن سليمان (ت 572) الذي كان يثني عليه الغزالي ويعظمه بين أصحابه[3] ،
- بالمشرق اشتهر لقاؤه مع الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني(ت 560هـ)، التقى به في الحرم المكي وألبسه الخرقة[4].

عمل أبو مدين شعيب الغوثي على نشر منهجه الصوفي في بجاية التي دخلها في عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور وجعلها مركز إشعاع صوفي بامتياز في النصف الثاني من القرن 8 هـ ، ومكث فيها مدة خمس عشرة سنة إلى أن استدعاه هذا الأخير إلى مراكش وفي الطريق توفي بعباد بتلمسان سنة 594هـ .

2.2.منهج التصوف المديني . يقوم المنهج التصوف عند الشيخ أبي مدين شعيب على الجمع بين التصوف الشرقي و التصوف الاندلسي، فالتصوف الشرقي يمثله الحارث المحاسبي القائم على مراقبة القلوب و تصوف القشيري والغزالي الذي يعمل على الوصول الى المعرفة اليقينية عن طريق الكشف، أما التصوف الأندلسي فتتقدمه أراء ابن العريف التي تدعو الى الزهد في كل شيء ما عدا التقرب الى الله ، يقول الباحث طاهر بونابي ((ثم صهر أفكار هذه المدارس و طقوسها الصوفية في بوتقة فكرية و سلوكية واحدة)) [5]؛ نقل ابن قنفد أن الشيخ أبا مدين شعيب لبس الخرقة من يد ابن حرزهم بالمغرب الأقصى، ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي، واتصل اللباس اتصال المصافحة[6].

خلال مكوثه ببجاية مدة خمس عشرة سنة قسّم نشاطه الى قسمين :

---

1 -ابن الزيَّات التشوف ،ص 320 و21. ابن سالم مخلوف محمد بن محمد (ت 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان1424 هـ - 2003 م.ج1ص.234

2 - محَّمد العربي بن يوسف الفاسي(988- 1052): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي الحسن ،تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجدhttps://www.noor-book.com/ -pdf .ص165.

3 - أحمد بابا بن أحمد التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص194 .

4 - الفاسي محمد العربي بن يوسف (988- 1052): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي الحسن ،تحقيق الشريف محمَّد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد - https://www.noor-book.com/ .ص165

5 بو نابي، المرجع السابق،ج1ص ص 201، 202.

6 - المقري، المصدر السابق ،ج5 ص242.

- القسم الأول نظري الغرض منه إرشاد المريدين الى أصول الطريقة الصوفية وكان يدرس في مسجد أبي زكريا الزواوي وبيته معتمدا على رسالة القشيري والاحياء وغيرها من المصنفات الصوفية.
- القسم الثاني تطبيقي يشرف فيه على أعمال المجاهدة كالذكر والصلاة وغيرها[1].

كان أبو مدين يرفض شكليات التصوف كحمل ركوة(إناء صغِير مِن جِلد يُشرب فيه الماء)والعصا في سياحته، كما نفر من حياة التقشف التي كان عليها المتصوفة كالتخلي عن ملذات الحياة وزينتها والملابس الفاخرة والتعطر بالطيب[2].

حصر الصوفي أبو مدين شعيب الزهد في تطهير القلوب من حب الدنيا وملئه بحب الخالق، وكان لهذا المنحى الصوفي أبلغ لأثر على المريدين في بجاية وتلمسان منهم عائلة المرازقة والطريقة الشاذلية.

3.2 .المدينيون ببجاية. أبو عبد الله محَّمد بن علي القلعي الصنهاجي (ت 628 هـ) وأبو علي منصور المليانى بلال بن عبد الله الحبشي (ت 590هـ). قال القاضي الغبريني ((من كبراء الأئمة وفضلائهم، قرأ ببلده بالقلعة وكانت حاضرة علم، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضي الله عنه))[3].

من مرافقيه من بجاية إلى تلمسان عبد الرحمن بن أبي بكر المقري ، وعبد الله بن أبي بكر بن مرزوق (ت 681هـ) وأبو مسعود بن عريف أخذ عن أبي مدين واستقر بشلف ويعقوب بن عمران البويوسفي جدّ ابن قنفد للأم (ت 717هـ) ، عاد إلى فرجيوة وأسس الزاوية الملارية.

أبو علي حسن بن محَّمد الغافقي الصوفي لا زمه ثلاثين سنة وكان معه بالعبَّاد وأبو عبد الله محَّمد بن إبراهيم الأنصاري من كبار تلامذته والشيخ أبو عمر الصباغ والشيخ أبو موسى الحلاج كان يحلج الصوف بفاس خرج من المغرب الى بجاية وأبو عبد لله محَّمد بن علي والشيخ أبو مسعود بن عريف من جبال الشلف برض تلمسان– ربما يقصد الونشريس [4].

---

1 بو نابي، المرجع السابق،ج1ص ص 202.

2 - نفس المرجع،ج1ص ص 202.

3 - الغبريني ، المرجع السابق، ص 218 .

4-ابن قنفذ القسنطيني (ت 81هـ/1408م):أنس لفقير وعز الحقير، اعتنى بتصحيحه ونشره محَّمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محَّمد الخامس كلية الآداب1965.،ص ص36 - 40

الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي خادم نحو خمسة عشر عاما(ت590هـ) الشيخ أبي مدين، كساه أبو مدين الخرقة ، قال محَّمد بن مرزوق: وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسمائة[1].

4.2.ممن أخذ التصوف على الطريقة المدينية بتلمسان. يذكر الباحث طاهر بونابي أن المرازقة تلقوا الطريقة الغزالية عن الشيخ بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين شعيب فتوارثوا خدمة ضريح الشيخ أبي مدين[2] .

كثير من مريدي أبي مدين شعيب توزعوا في بلاد المغرب منهم من استقر بالمغرب الأوسط كأتباع لزاوية الملارية في فرجيوة التي أسسها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي[3] وزاوية بشلف استقر بها الشيخ أبو مسعود بن عريف[4].

3.المدرسة الماجرية .

1.3. تعريف المدرسة الماجرية . تنسب هذه المدرسة للشيخ أبي محَّمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدكالي الماجري (550 – 631 هـ). والمتواتر عند أهل المغرب أنه من عشيرة بني حسن فخذ من أفخاذ بني نصر بني ماكر بجنوب المغرب الأقصى [5].

لقد أثنى أصحاب المناقب على زهده منهم ابن الزيات في صدر كتاب التشوف وابن قنفذ في أنس الفقير والشيخ محَّمد عبد الحق بن إسماعيل الباديسي في كتاب المقصد ونسبوا له كرامات ، وكان ممن أخذوا عن الشيخ أبي مدين شعيب قدرا من طريقته الصوفية[6].

2.3.شيوخ أبي محَّمد الماجري. أخذ العلم والتصوف عن شيخه عبد الرزاق الجزولي ثم أرسله الى بجاية الى الشيخ أبي مدين شعيب ثم أرسله أبو مدين الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد[7] .

---

1 - المقري ،المصدر السابق ، ج5 ص 242 .

2 - بونابي، المرجع السابق ، ص209.

3 - ابن قنفذ، أنس الفقير،ص115.

4 - أنظر في تصنيف مريدي الشيخ أبي مدين شعيب ، بونابي، ص ص 208- 201.

5 -الزركلي،ج3 ص179

6 - الكانوني العبدي محَّمد بن أحمد: البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي محَّمد صالح ،ط1،منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر الرباط 2011. ص ص 14، 15.

7 -نفس المرجع ، ص 11.

3.3.من مريدي أبي محَّمد الماجري . منهم الإمام أبو الحسن علي سعيد الرجراجي شارح المدونة المسماة "منهاج التحصيل في شرح ما للائمة من تأويل في حضرة سيدنا وقدوتنا شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أبو محَّمد صالح الدكالي المراكشي (ت601 هـ) [1]، وأبو عبد الله محَّمد بن أبي القاسم لازم الشيخ الماجري في رباط آسفي مدة أربع سنوات ثم نزل ببجاية فأخذ عن الشيخ أبي العبَّاس أحمد الغبريني (ت 704هـ) ثم انتقل الى قلعة بني حماد وهناك صار أحد أقطاب الطريقة [2].

4.3. انشاء الرباطات على طريق الحج من المغرب الأقصى. كان محَّمد صالح بن ينصارن من العاملين على تذليل عقبات الرحلة إلى الحج بعدما انتشرت في أيامه الشكوى من وعورة الطرق، حتى قيل" إن الحج ساقط عن أهل المغرب" فسعى لذلك بإنشاء الزوايا في بلاد إفريقية والمغرب والمشرق حتى بلغت نحو 64 زاوية منتشرة من آسفي بجنوب المغرب الأقصى إلى الحجاز معمورة بالأشخاص والمريدين، مهمتها تسهيل الحج والسير بالحجاج في الأماكن الموحشة والوعرة ، ولحفيده أحمد بن إبراهيم الماجري، كتاب (المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محَّمد صالح)[3].

4.المدرسة الشاذلية.

1.4.تعريف أبي الحسن الشاذلي . تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الغماري (591 – 656 هـ) ، تلقى التصوف عن أتباع أبي مدين شعيب منهم الشيخ محَّمد عبد السلام بن مشيش بجبال غمارة والشيخ محَّمد بن حرازم(633هـ) [4] والشيخ أبي سعيد خليفة بن أحمد الباجي بتونس[5] .

2.4. تصوف الشيخ أبي الحسن الشاذلي. أخذ أبو الحسن الشاذلي بجوانب كثيرة من تصوف المدرسة المدينية كالمداومة على القيام والصيام دون الأخذ بما اعتاد عليه كثير من المتصوفة من جنوح إلى التقشف في المأكل والملبس والمركب[6].

---

1 -نفس المرجع ، ص15

2 - الغبريني، المرجع السابق ، ص 123 وبو نابي، المرجع السابق ، ، ص 220.

3 - الكانوني، المرجع السابق ، ص15

4 -ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ج1 ص 266.

5 - الكانوني، المرجع السابق، ص ص 195- 197 .

6 - تفاصيل أخرى عن بو نابي، المرجع السابق، ،ص ص 221-227.

- يجب على معتنق الشاذلية الإقبال على التوبة، والإخلاص، النيَّة، الخلوة، الذكر، الزهد، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع، والسماع في اصطلاح الصوفيين
- السماع في الاصطلاح الصوفي هو سماع القرآن الكريم أو قصائد الشعر بنغمة مؤثرة على الصوفي، ويوصل السماع الحاضرين حتى تصل أحوالهم النفسية الى الوجد الذي عرفه القشيري بأنه ما يصادف قلب السامع ويرد عليه بلا تعمد وتكلف الى درجة الحزن والخوف والشوق والبكاء والغشية، وما شابه ذلك، وعند فرق صوفية الطرب والرقص أو تقطيع الثياب [1] ولهذه الألفاظ معانٍ والأفعال.
- لا يأخذ الشاذليون علم القرآن والسنَّة إلا عن طريق شيخ الطريقة أو المربي أو المرشد، وطاعتهم لشيوخهم مطلقة [2].

3.4. انتشار الطريقة الشاذلية.

1.3.4. فرع إفريقية. تسربت الشاذلية الى بجاية عن طريق الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن ميمون الزواوي (ت696هـ/1287م)[3]، ومن رجال الطريقة في إفريقية الشيخ عبد الغني المزوغي كان من أصحاب الإمام الشاذلي[4]، والشيخ أبو العزائم ماضي ابن سلطان[5]، والمفتي الفقيه الحافظ والإمام أبو القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني الإمام الجامع الأعظم ببجاية بعد الإمام الغبريني ، قال المؤرخ ابن سالم مخلوف ((شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ وأستاذ الأساتذة وقدوة الجهابذة الفقيه الحافظ للمذهب النظار المعمر ملحق الصغار بالكبار. كان إليه المفزع في الفتوى. أخذ عن ابن عرفة، لازمه نحواً من أربعين عاماً وأجازه إجازة عامة كما أجازه غالب شيوخه وابن مرزوق الجدّ وأبو الحسن البطرين لازمه وأخذ عنه القراءات السبع وكتبا كثيرة وأحزاب

---

1 - أنظر في معاني السماع ،رزقي بن عويمر: السماع الصوفي وتجلياته الوجودية، مجلة دراسات انسانية واجتماعية ، جامعة وهران ، العدد 4، جانفي 2014م ص 9 فما بعدها.

2 - الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ،ط4،إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع1420هـ.ج1ص280.

3- ترجمته في كتاب عنوان الدراية ذكر من شيوخه بمصر الرشيد بن عوف والشيخ عز الدين ابن عبد السلام ولم يذكر الشيخ أبا الحسن الشاذلي، الغبريني، المصدر السابق، ص 205.

4 - ابن سالم مخلوف ، شجرة النور الزكية ،ج1 ص 275، 276.

5 - نفس المصدر،ج1 ص 295.

الإمام الشاذلي وهو أخذها عن الشيخ ماضي ابن سلطان وهو عن الإمام الشاذلي))[1]، والشيخ أبو عبد الله محَّمد ابن الحافظ أبي العبَّاس البطرني الأنصاري التونسي وصفه ابن سالم مخلوف بالفقيه المحدّث والراوية المقرئ المجاب الدعوة، أخذ عن والده وعن القطب ماضي ابن سلطان تلميذ أبي الحسن جميع أحزابه في الذكر الصوفي[2] ، وشاعر يعرف بأبي علي يونس أبو علي يونس (ت 690هـ).

2.3.4.من مريدي الشيخ أبي الحسن الطريقة الشاذلية في مصر. أبو العبَّاس أحمد بن عمر المرسي الأنصاري، أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي ولازمه وكان خليفته على الطريقة ، وعن أبي العبَّاس أحمد المرسي جماعة منهم تاج الدين بن عطاء الله والشيخ ياقوت الحبشي توفي سنة 683 هـ بالإسكندرية سنة 683 هـ ، وقبره بقي معروف يتبرك به[3].

الاستنتاج.

طبع التيار الغزالي والمديني النشاط الصوفي بالغرب الإسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين وتأثرت باقي التيارات الصوفية كالماجرية والشاذلية بالمدرستين

امتد تأثير المدرسة الشاذلية الى مصر بينما برز على نشاط الماجريين الاتجاه الى العمل الاجتماعي بإقامة الزوايا على طريق الحج انطلاقا من المغرب الأقصى.

1 - نفس المصدر، ج1 ص 352 .

2 - نفس المصدر، ج1 ص 326 .

3 - نفس المصدر، ج1 ص 269.

المحاضرة رقم 14 :التيارات الصوفية الباطنية في بلاد المغرب (الحرالية ، الشوذية، السبعينية)

المقدمة.

سنتناول في هذه المحاضرة التيارات الصوفية الفلسفية الباطنية، سنعرض في هذا السياق المدرسة الحرالية في بجاية والمدرسة الشوذية في تلمسان ومدرسة وحدة الوجود المتأثرة بتصوف ابن عربي بتلمسان [1].

1.المدرسة الحرالية أو المدرسة الباطنية الاشراقية في بلاد المغرب والمشرق.

1.1.تعريف الحرالي(ت636هـ) توفي بالشام . هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحَرالّي التجيبي وحَرالّة من أعمال مُرسية (ت 638 هـ /1241م) ولد ونشأ في مراكش ثم رحل الى المشرق، استوطن بجاية ثم عاد إلى مصر التي أخرج منها وتوفي في حماة (بسورية)[2].

2.1. مشايخ الحرالي. اتسعت دائرة علم أبي الحسن الحرالي بما أخذه من علوم عن أعداد كبيرة من الشيوخ في الأندلس والمشرق؛ من مشايخه بالأندلس أبو الحسن بن خروف، وأبو الحجاج بن نمر وغيرهما[1] ، ولما رحل إلى المشرق لقي الصوفي شهاب الدين السهروردي (ت580هـ) وأبا الحسن ابن سينا وأخذ منهما[2].

1- قسم الباحث طاهر بونابي التصوف الفلسفي الى أربع مدارس هي وهي التيار الحرالي و تيار الوحدة المطلقة التي تضم الشوذية في تلمسان و السبعينية في بجاية ، و تيار و حدة الوجود و المدرسة الباطنية التي تفرع متصوفوها من التيار الغزالي و مدرسة ابن العريف هذا التيار يبدو أنه بقي يميل أكثر الى شيوخه العرفانيين مع بعض الخروج التي التصوف الفلسفي و قد أدرجانا هم ضمن متصوفة بجاية المتأثرين بابن العريف و تلميذه ابن برجان، المتأثر بتصوف أبي بكر بن عربي ، و لقد اخترت هذا التقسيم المنهجي لتقديم فهم عام لهذه التيارات الصوفية التي تداخلت و تشعبت أفكارها . لمزيد من التفاصيل حول مدرسة التصوف الفلسفي في المغرب الأوسط أنظر بونابي، المرجع السابق ، ج 1 ص ص 228-257.

2 - الزركلي، المرجع السابق ،ج4ص 254 وأنظر مختصر ترجمته في كتاب محَّمد بن شريفة: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير توفي 638هـ،سلسلة تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي،ط1،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.ص 9.

اشتهر الحرالي بعلو كعبه في التفسير[3]، وصفه الحميدي في شجرة النور الزكية "بالإمام العالم الزاهد المجاب الدعوة كثير صاحب الكرامات"، كان من أعلم الفقهاء بالمذهب المالكي متقنا لعلوم كثيرة من العلوم لقي كبار المشايخ شرقاً وغرباً منهم أبو عبد الله القرطبي إمام الحرم الشريف العز بن عبد السلام ووقع معه خلاف في بعض المسائل[4]، وأما الصوفي أبو محَّمد عبد الحق ابن سبعين فقد أثنى عليه في بعض كتبه[5].

3.1.فلسفة الحرالي الصوفية. تأثر التصوف الفلسفي عند أبي الحسن الحرالي بالصوفي شهاب الدين السهروردي (ت580هـ) وأبي الحسن ابن سينا عند رحلته المشرقية الأولى، وسار على منوال هذا التصوف الذي يوصل صاحبه الى حالة " شروق الإلاهية" فيرى الله ويطلع على أسراره ، ولا يبلغ المتعبد هذه الحالة بواسطة العقل وإنما بالمجاهدات وأنواع الرياضات الشاقة على نفس المتعبد ، "ثم يرتقي الى مرحلة السكينة، ثم في الأخير مرحلة النيل التي تصبح فيها ذات الصوفي مرآة عاكسة للألوهية، فيكون حين مشاهدته لذاته مشاهدا لله"[6].

قال الذهبي أن الحرالي تكلم في علم الحروف والأعداد ، واستخرج من قراءاته وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس[7].

4.1.مؤلفات الحرالي. ألّف الحرالي في مختلف العلوم من بينها التصوف نذكر منها "اللب المقفل على فهم القرآن المنزل" في التفسير قال ابن حجر((جعله قوانين كقوانين أصول الفقه))، وكتاب "الوافي في الفرائض ، قال ابن حجر العسقلاني((جعله قوانين كقوانين أصول الفقه))، وكتاب " تفهيم معاني الحروف " وكتاب "

---

1 - وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محَّمد البغدادي: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»،ط1، **مجلة الحكمة**، مانشستر – بريطانيا،1424 هـ - 2003 م. ج2 ص 1561.

2 - بو نابي، المرجع السابق، ج،1 ص 234.

3 - الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ج2 ص 1561.

4 - ابن سالم مخلوف، المصدر السابق، ج1 ص 260.

5 - نفس المصدر ، ج1 ص 187.

6 - بو نابي، المرجع السابق، ج،1 ص ص 234، 235، 236.

7 - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج16 ص309.

الإيمان التام بمحَّمد عليه السلام « و " السر المكتوم في مخاطبة النجوم "[1]« وكتاب "الوصية لسالك طريق الصوفية"[2].

5.1.طلبة الحرالي. طبع الفقيه الصوفي أبو الحسن الحرالي الحياة العلمية أينما حلّ في المشرق وبجاية خاصة مدة مكوثه بالمدينة وبلاد الشام ، بما كان يقدمه من دروس في مختلف العلوم النقلية والعقلية منها التصوف والفلسفة يلقيها على طلابه المريدين، قال الغبريني في وصفه علو منازل طلبته في التحصيل العلمي والإتقان ((فمن وصفه بالقضاء رُقِيَ إليه ، ومن خصَّه بالتدريس والفتيا أظهر عليه ، ومن خصَّه بالزهد واستجابة الدعوة عرف ذلك منه، هذا في أصحابه ببجاية وغيرها))[3].

من هذه أشهر الأعلام التي أخذت عن الشيخ الحرالي القاضي الفقيه أبو الفضل قاسم بن محَّمد القرشي القرطبي(ت 662هـ/1264م)[4]، والقاضي المتصوف محَّمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري (675هـ/1285م)[5]، والفقيه، الأصولي من أهل التصوف الفلسفي أبو الحسن علي ابن عمران بن موسى المليانى (ت بعد 670هـ/1271م)[6]،والفقيه الأصولي أبو عبد الله محَّمد بن علي القصري(القرن 7هـ) أحد خواص الشيخ[7] ، والفقيه المحدث أبو زكريا يحيى بن أبي الحسن اللفتني (القرن 7هـ)[8]، و الشيخ الصوفي أبو زكريا يحيى بن زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي[9]، و من طلبته محَّمد بن إبراهيم القيسي السّلاوي، الفقيه، الصوفي، نزيل تونس، المعروف بخديم المشايخ لكثرة من خدم منهم، أصله من سلا بالمغرب الأقصى (كان حيّا

---

1 - الزركلي، المرجع اسابق: ج4ص256. ج4 ص 256.

2 - محَّمد محفوظ(ت 1408 هـ/1487م): تراجم المؤلفين التونسيين،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان،1994. ج5 ص ص 235، 236.

3- الغبريني ، المصدر السابق ،ص 151 ،152.

4 .الغبريني، نفس المصدر، ص175.

5- قال الغبريني((كان بارعا في عدة علوم، الفقه والفرائض وأصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف، والأدبية، والحساب والخط)). الغبريني، نفس المصدر، ص 57.

6 - نفس المصدر، ص 227.

7 - نفس المصدر، ص 186.

8 -نفس المصدر ، ص 260.

9 - قال الغبريني ((له تأليفا حسنا في "شرح أسماء الله الحسنى" وله في التصوف "تقاييد" كثيرة، وله نظم حسن وقطع مستحسنة كلها في المعاني الصوفية))، نفس المصدر، ص 104.

684 هـ)، واختصّ منهم بخدمة الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرّالي له كتاب في "كرامات شيخه الحرّالي التي رآها" [1]. وأبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف: القاضي وأبو بكر بن محرز وأبي العبَّاس الليابي وأبي زيد اليزناسي وغيرهم وعنه أبو العبَّاس الغبريني وغيره تولى قضاء[2]. والإمام العالم أبو محَّمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري البجائي، وأخذ عن الحرالي الأستاذ النحوي اللغوي والشاعر أبو عبد الله محَّمد بن حسن بن علي بن ميمون القلعي ، أخذ عن أبي الحسن الحرالي وأبي بكر بن محرز وأبي المطرف بن عميرة وغيرهم، وعنه أبو العبَّاس الغبريني وغيره. ألّف الموضح في النحو وحدائق العيون في تنقيح القانون ونشر الخفي في مشكلات أبي علي. توفي في بجاية سنة 673 هـ[3].

لقد أنشأ أبو الحسن الحرالي من هذه النخبة من أهل العلم مدرسة صوفية قائمة على نظرية الإشراق الصوفي، المستوحاة من نظرية الفيلسوف الطبيب ابن سينا (ت428هـ/1037م) والفقيه الشافعي الصوفي شهاب الدين السهروردي(632 هـ / 1234 م) في وضع المراتب التي يقطعها السالك حتى يصل الى ما يسميه بشروق الأنوار الإلهية ، مضيفا إليها منحى القائلين بوحدة الوجود [4] ،وهو ما يجمع الغبريني معناه بقوله ((كان محصلا لأنواع العلوم الظاهرة والباطنية))[5].

2. الصوفية الشوذية بتلمسان وبجاية (أو صوفية الوحدة المطلقة)

1.2.تعريف أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي(ت أوائل القرن 7هـ/13م). أورد ترجمة له أبو زكريا يحي ابن خلدون في فصل تعدد من أنجبته تلمسان أو استقر بها من العلماء و الصالحين ،فعرّفه بالشيخ الولي أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي نزل تلمسان ، و أنه من كبار العبَّاد العارفين ، قدم من مرسية ، و أنه ((كان يبيع من طبق عود في يده حلواء للصبيان الصغار يضيف أبو إسحاق ابن المرأة فتفرست فيه مخائل القوم فاتبعته فإذا من يمر به من الصبيان ينفرون له فيدور و يشطح و ربما أنشد مقتطفات متفقات الألفاظ في

1 - محَّمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج5 ص 235، 236.

2 - ابن سالم مخلوف ، المصدر السابق، ج 1 ص 289.

3 - ابن سالم مخلوف، نفس المصدر، ج1 ص 287.

4 -أنظر بو نابي ،المرجع السابق، ص 89 ،90، 91.

5 -الغبريني ، المصدر السابق ، 156.

معنى المحبة فلم أشط أنه من الصالحين ثم أخذ في ثمن شيء من حلوائه كسرة خبز سميد فتصدق بها على يتيم ذي أطمار بعد علمه بحاجته فقلت في نفسي هذا ولي مورعن))[1].

اعتقاده بوحدة الوجود التي أشار إليها في بعض أشعاره مثل قوله:

إذ نَطَقَ الوُجُودُ أَصَـــاخَ قَومٌ بِآذَانٍ إِلَى نُطقِ الوُجُـــــودِ

وَذَاكَ النُّطقُ لَيسَ بِهِ انعِجَــامٌ وَلَكِن جَلَّ عَن فَهمِ البَلِيـــدِ

فَكُن فَطِناً تُنَـــادى مِن قَرِيبٍ وَلاَ تَكُ مَن يُنَادى مِن بَعِيدِ[2]

ومعنى هذه الأبيات أن الله إذا صار للعبد سمعٌ وبصرٌ، يسمع به ويبصر به ، فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق.

جاء في البستان لابن مريم ((غلب عليه هذا الاسم: إمام العارفين وتاج الاولياء المحققين وسيد الصالحين، وأضاف ابن مريم وكان قاضيا بإشبيلية أخر دولة بني عبد المؤمن ثم فرَّ بنفسه من القضاء ، وتخفى بتلمسان في زي المجانين وأخبرني الشيخ أبو الحسين الميورقي أن أبا عبد الله الحلوي كان من أعيان العبَّاد ومات بتلمسان وقبره خارج باي علي وقبره الآن هناك مزار مجاب الدعوة وله مناقب كثيرة لا تحصى))[3].

2.2.من مريدي أبي عبد الله الشوذي. بتلمسان إبراهيم بن يوسف بن محَّمد بن دهاق المعروف بابن المرأة (ت 610هـ) ، قال ابن الخطيب في ميله الى العامّة واجتذابهم بالألعاب الندرة و ((وكان صاحب حيل ونوادر مستظرفة، يلهي بها أصحابه، ويؤنسهم، ومتطلّعا على أشياء غريبة من الخواص وغيرها، فتن بها بعض الحلبة...وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشّنيعة، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه، منهم شيخنا القاضي العدل المسمّى الفاضل، أبو بكر بن المرابط، رحمه الله... وتبرّأ منه من كان سعى في انتقاله إلى

1 - يحيى ين أبي بكر ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، تحقيق ألفريد بال ،مطبعة بيير فونطانا الشرقية الجزائر 1331هـ/1903م.ج1ص ص 65 ،66.

2 -الذهبي ،سير أعلام النبلاء، ج 23 ص 316.

3 -ابن مريم محَّمد بن أحمد التلمساني: البستان في ذكر أولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محَّمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية الجزائر 1326هـ/1908م. ص ص 68، 70.

مرسية، والله أعلم بغيبه وضميره))، من مؤلفاته شرحه كتاب الإرشاد للصوفي أبي المعالي الجويني، وشرح الأسماء الحسنى. ، وشرح محاسن المجالس لأبي العبَّاس أحمد بن العريف[1].

أبو عبد الله محَّمد بن خميس التلمساني (ت 708هـ)، ومن الأندلس (لورقة)المتكلم محَّمد بن عليّ الأنصاري، (ت 580هـ)، قال الأنصاري في الذيل والتكملة ((وكان متكلِّمًا داعيةً إلى اعتقادِ مذهبِ الشّوذيّ ناصرًا له حاملًا عليه، وعنهُ انتشَرَ واشتُهِر))، وقد صنّف في التفسير وفي العقائدِ على الطريقة، منها " العقيدتانِ: الكبرى والصُّغرى"[2] .

أخذ الشوذية من ابن الدهاق عبد الحق بن إبراهيم بن محَّمد بن نصر بن فتح ابن سبعين العكّي ،جاء في الاحاطة ((وأخذ التحقيق عن أبي إسحاق بن دهاق، وبرع في طريقة الشّوذية))[3] ، والشيخ الفقيه، العالم المحصل المحقق أبو عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمل(عاش في القرن السابع الهجري) من أصحاب الشيخ أبي إسحاق ابن البرّ المعروف بابن دهاق له علم بأصول الدين وأصول الفقه والتصوف، من كبار أهل العلم[4].

بقيت الطريقة الشوذية قليلة الأتباع في بلاد المغرب ولما قام السلطان المريني أبو عنان الى تلمسان سنة 754هـ/1353م قام ببناء زاوية ومدرسة وجامع بقرب من ضريح الحلوي[5] .

3.المدرسة السبعينية.

1.3.تعريف ابن سبعين .ينتسب هذا التيار لعبد الحق بن إبراهيم المعروف بابن سبعين (613 – 669 هـ) توفي بمكة، درس العربية والآداب بالأندلس وتلقى التصوف على الطريقة الشوذية بمرسيه ،كما نقله لسان الدين ابن الخطيب ((وأخذ التحقيق عن أبي إسحاق بن دهاق، وبرع في طريقة الشّوذية))[6] . دخل سبتة ثم

1 - لسان الدين ابن الخطيب محَّمد بن عبد الله (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1424 هـ.ج1 ص 168.

2 - الناصري ،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج4ص 479 .

3 - ابن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج4 ص 21.

4 - الغبريني ، المصدر السابق، ص 225.

5 - بونابي، المرجع السابق،ج1ص 247.

6 - ابن الخطيب ، المصدر السابق ص4 ص .

بجاية في العقد الثالث من النصف الاول من القرن 7هـ يرافقه أتباعه منهم أبو الحسن علي الششتري (ت 668هـ)، ارتحل ابن سبعين من بجاية الى مكة واستقر بها الى أن توفي [1].

2.3.تصوف ابن سبعين ومريديه . تتلخص فكرة الوجود عند ابن سبعين وتلميذه الششتري فيما يلي:

- يحدث حلول الله في الذات الانسانية بعد تجريد النفس بواسطة المجاهدات حتى تصير حواس المتصوف وأفعاله مسيرة من طرف الله بواسطة نور يقذفه في عقل الانسان [2].
- نظرية الوحدة المطلقة عند ابن سبعين تقوم على فكرة محورية على أن وجود واحد وهو وجود الله فقط، أما الموجودات الأخرى فوجودها عين وجود الواحد(أي الله) من غير زيادة عليه لأن الله هو أصل الكائنات[3].

تبرز عقيدة ابن سبعين في وحدة الوجود من خلال تلميذه أبي الحسن الششتري ، نقل الغبريني أنَّه كان يوما ببلدة "مالقة" ، فقرأ يوما طالب قوله تعالى: إنني ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكرِي﴾[4] فردّ الششتري على الطالب بقول شعر جاء فيه :

انظر للفظ أنا يا مغرمـــا فيه من حيث نظرتنا لعل تدريـه
خل ادخارك لا تفجر بعارية لا يستعير فقير من مواليـــه
جسوم أحرفه للسر حـــاملة أن شئت تعرفه جرد معـانيه[5]

3.3.أراء حول وحدة الوجود ومعتنقيها من الصوفية. يقول الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن سبعين ((كان صوفيًّا على قاعدة زُهد الفلاسفة وتَصَوُّفهم. وله كلامٌ كثير في العِرفان على طريق الاتّحاد والزَّندقة، نسأل الله السّلامة في الدّين))[6]. ويقول ابن حجر في لسان الميزان((عبد الحق بن إبراهيم بن محَّمد بن سبعين...واشتهر بالزهد والسلوك وكانت له بلاغة وبراعة وتفنن في العلوم وكثر أتباعه وله مقالة في تصوف الاتحادية))[7].

---

1 - أنظر المقري ، المصدر السابق، ج2 ص 196 والغبريني ص 237.

2 - بونابي، المرجع السابق،ص251 ، أنظر في فكرة وحدة الوجود الملحق رقم 10 لابن خلدون

3 - نبيلة بن عزوز: ، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 01، العدد 02، جوان 2019. ص 345.

4 - سورة طه ، الآية 14.

5 - الغبريني ، المصدر السابق، ص 241.

6 - الذهبي ،تاريخ الإسلام ،ج15 ص 168.

7 - ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان، ج5 ص 63.

بتحفظ حول اعتقاد ابن سبعين يقول المقري ((وقال غير واحد: إن أغراض النَّاس فيه متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم المرهق المكفر، ومنهم المقلّد المعظم الموقّر، وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد، والنفرة والانتقاد، ما لم يقع لغيره، والله تعالى أعلم بحقيقة أمره))[1] .

يرى ابن خلدون أن سلف معتقدي وحدة الوجود كانوا من الإسماعليتين فيقول ((ثمّ إنّ هؤلاء المتأخّرين من المتصوّفة المتكلّمين في الكشف وفيما وراء الحسّ توغّلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصّحف منه مثل الهرويّ في كتاب المقامات له وغيره. وتبعهم ابن العربيّ وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنّجم الإسرائيليّ في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليّة)) [2] ،

الاستنتاج.

تبين في الأخير أن مدن بجاية وتلمسان وقلعة حماد كانت من أهم مراكز الإشعاع الصوفي في المغرب الأوسط والغرب الإسلامي.

ظهر بقوة تأثير المدرسة الغزالية ثم المدينية في ازدهار التصوف في الغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط ، خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين وامتداده في الفترة الحديثة.

ظهر التيار الصوفي الفلسفي في المشرق وفي الأندلس بداية ، ثم هاجر صوفية هذا الاتجاه إلى بلاد المغرب منذ القرن 6 هـ/12م ونزلوا مدن تلمسان وبجاية ومراكش وسبتة وفاس .

---

1 - المقري ، المصدر السابق ،ج2 ص 196.

2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج1ص 619

الخاتمة

يبقى وضع تعريف شامل متفق عليه للتصوف أمرا صعبا، يرجعه ابن خلدون لعاملين:

الأول أن هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية التقنين العلمي بل وصف أحوالهم الخاصة.

الثاني أن كلمة تصوف في حد ذاتها اكتسبت مع الوقت معاني جديدة ميز بعضها وتعريفات أبعدتها عن مفهوم الزهد الذي كان عليه الصحابة سلفا من أعلام الأمة.

أطلق أصحاب التراجم خاصة على بعض من تميزوا بالزهد في المجتمع بعض التسميات كالعارف و المتعبد ، و كان ذلك من بوادر انتقال جمع من الزهاد الى حياة الانقطاع و التفرغ للنواسك التعبدية و التقشف في الملبس و المشرب و المرقد و المسكن تمهيدا لظهور التصوف في القرن الثالث الهجري ، ويمكن اعتبار بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (ت بعد سنة 150هـ) من تلاميذ العالم التابعي الحسن البصري (ت 110 هـ) الذين بنوا دويرة للعبادة، ثم الفقيه ثوبان بن إبراهيم المعروف بذي النون(ت 245هـ) من رواد التصوف في إفريقية و مصر و المشرق عموما الذي أخذ عنه أخذ سهل بن عبد الله التستري أحد أعلام الصوفية المتكلمين.

ظهر أن التصوف منذ نهاية القرن الثالث الهجري هو امتداد في طبيعته السلوكية الى حياة الزهد التي كان عليها الصحابة والتابعون في القرون الثلاثة الأولى ، فصار التصوف مع مرور الوقت تيارات سلوكية قائمة لها شيوخها الذين صاروا قدوة لجماهير المريدين، قبل أن تتشعب المناهج والطرق والأغراض .

يعد الزهد والتصوف في الغرب الاسلامي امتدادا للزهد والتصوف المشرقي، وحدث التفاعل الأول بقدوم أعداد من الصحابة والتابعين الذين كان الزهد صفة ملازمة لحياتهم اليومية .

كانت الرحلة بين أقطار البلاد الاسلامية من أهم العوامل المؤثرة في نشأة النزعة الزهدية عند المغاربة ثم ظهور التصوف وتطوره. مثلما كان لها تأثير مباشر في رسم الخريطة المذهبية في الاصول والفروع .

اتخذ كثير من الزهاد من الرباطات مواطنَ للاعتكاف، فجمعوا فيها بين الجهاد وحراسة الثغور وطلب العلم وممارسة مختلف النشاطات اليومية، مع الانقطاع عن المجتمع لفترات طويلها والمداومة على النواسك التعبدية .

سار علماء بلاد المغرب والأندلس مثل نظرائهم في المشرق هل منهج الصحابة والتابعين في الالتزام بقيم الاسلام الأولى في الجمع بين العلم والعمل وزهد المعاش، فنالوا احترام وتقدير المجتمع ورجال الدولة .

على نفس الطريق سار الأئمة الإباضيون في اتباع سنة شيوخهم متقيدين بحياة الزهد دون توظيف مصطلح التصوف، واكتفى أصحاب التراجم الاباضية بذكر زهد وورع الأئمة والمشائخ الإباضية، وما ينسب لهم من كرامات .

كان للظروف السياسة من فتن داخلية والحروب وجنح فئات من المجمع الى الحياة السهلة والميوعة والترف دور في نمو التيار الزهدي في المجتمع الإسلامي في المشرق والمغرب ، واتجه كثير من العامة والخاصة الى الفرار بالنفس الى حياة العزلة والانقباض.

كان للأفكار المستوردة من فلسفات معتقدات الأمم التي كانت تعايش المسلمين أثر أكيد على بعض التيارات الصوفية ذات التوجه الكلامي والفلسفي والباطني .

حلَّ بالأندلس أعداد كبير من أهل العلم والمجاهدين الذين نوهت كتب التراجم بزهدهم وتعبدهم وورعهم واقبالهم في نفس الوقت على طلب العلم والمرابطة في الثغور .

ميز صوفية العهود الأولى في الغرب الاسلامي مثل نظيرتها في المشرق الجنوح الفردي الى الانقطاع والعزلة ومجاهدة النفس واتخاذ أساليب الوعظ والترغيب والتذكير. فكان أقرب الى منهاج الأولين في الزهد، فأطلقت عليه أعداد غير قليلة من علماء المشرق والمغرب تسمية التصوف السنّي تميزا له عن التصوف الفلسفي والباطني والتصوف الذي خالطته كثير من الطقوس المبتدعة والمستوردة الذي تشعب الى تيارات ومدارس .

تعد الألبيرية والمعوذية من الجماعات الأولى للتصوف في الأندلس في القرن الرابع الهجري وقد جمعتا بين العلم الشرعي والتصوف ، والملاحظ كذلك أن هاتين الجماعتين الصوفيتين لم تتعرضا لمضايقات السلطة ، قد يكون السبب ابتعادها عن التيارات الصوفية المعاصرة لها ذات البعد الفلسفي والباطني والكلامي مثل المسرية ومدرسة ابن العريف وابن برجان.

تعد مدرسة إبن مسرة في القرن الثالث الهجري أول مدرسة صوفية أخذت بمنهج الفلاسفة ،ورغم الحصار الذي تعرضت له إلا أنها عرفت رواجا حتى بعد وفاة ابن مسرة وغربا ومشرقا ويبدو أن الأفكار الصوفية لابن مسرة قد تبنتها أجيال من صوفيي الباطن في الازمنة اللاحقة كما لاحظناه في فكر ابن قسي وابن عربي وابن عربي وغيرهم من صوفية وحدة الوجود والحلول والطريقة الشوذية .

ميز التوجه العام لحركة التصوف في بلاد المغرب والأندلس أنها أخذت في بدايتها طريق الزهد القائم على النصوص النقلية والاهتمام بترقية السلوك، ثم اتجهت الى التصوف الفردي ثم برز مع تواصل هذا النوع من التصوف القائم على المجاهدات والوعظ والتذكير والرغيب الترهيب والميل الخلوة والانقطاع الى تيارات كانت بدايتها مدرسة ابن مسرة ذات التوجه الفلسفي ثم قدوم أفكار المدرسة الغزالية العرفانية ثم مدرسة ابن العريف ثم تصوف ابن قسي ذو التوجه الفلسفي والثوري السياسي ضد المرابطين والموحدين .

ظهر التيار الصوفي الفلسفي في المشرق وفي الأندلس بداية ، ثم هاجر صوفية هذا الاتجاه إلى بلاد المغرب منذ القرن 6 هـ/12م فاستقر بعض المنتسبين له بمدن تلمسان وبجاية ومراكش .

كان الصوفية في بلاد الغرب الاسلامي من أهل العلم في مختلف العلوم الشرعية ، فكان منهم المحدثون والفقهاء وأغلبهم من المالكية والأشاعرة، وفيهم من أشتغل بالقضاء والفتوى والتدريس.

تبين أن مدن بجاية وتلمسان وقلعة حماد كانت من أهم مراكز الإشعاع الصوفي في المغرب الأوسط والغرب الإسلامي.

ظهر بقوة تأثير المدرسة الغزالية على التصوف في الغرب الإسلامي والمغرب الأوسط، ابتداء من نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، ثم المدينية خاصة في القرنين القرن السادس والسابع الهجريين ثم مدارس متأثرة في بعض مناهجها بفكر الغزالي أو التصوف المديني مثل الماجرية والشاذلية. ولاحظنا حضور التصوف الباطني متمثلا في مدارس الحرالية ، الشوذية والسبعينية.

الملاحق

الملحق رقم 01: حوار بين العالم الزاهد شقران بن علي الفرضي ذُي النُّون ثوبان بن إبراهيم الاخميمي المِصْري[1]

((حكى الفقيه أبو العباس الأبياني قال: لما قدم ذو النون المصري على شقران، وكان شقران لا يخرج من داره إلّا من الجمعة إلى الجمعة قال: فلمّا خرج قلت له: قد جئت من بلد بعيد أطلب معروفك، فأخذ حصاة من الأرض فجعلها في يدي فإذا هي جوهرة، فقلت: ما لهذا جئت، قال: فلم؟ قلت: لموعظة، قال: كل من كدّ يمينك ممّا عرق فيه جبينك، ولا تأكل بدينك، فإن ضعف يقينك فاسأل الله يعينك. وقد رويت هذه الحكاية على طرق أكمل من هذه الطريقة فمنها ما حدّث مروان بن نصر المتعبد قال: بلغ ذا النون المصري أنّ بالمغرب رجلا يقال له شقران، يخرج من أربعين يوما إلى مثلها، فأتاه من مصر وسأل عنه، فقيل له الساعة كما دخل. ولا يخرج إلى أربعين يوما. فأقام ذو النون المصري على بابه أربعين يوما، فلما تمّت خرج فلما رأى ذا النّون، قال له: أمن المشرق أنت؟ قال: نعم، قال: ما الّذي أقدمك [بلادنا؟ قال: بلغني خبرك فأتيت إليك لتعظني لعل الله ينفعني بكلامك، فقال له: يا فتى سح في الأرض واستعن بأكل عشبها على أداء الفرض، ولا تقبل من أحد صلة ولا فرسنا فإن ضعف يقينك فاسأل من غدا عليه العرض يعينك ثم دخل فأقمت على بابه أربعين يوما فلمّا خرج بعد انقضائها قال له ما انتفعت من الموعظة بشيء قلت: أردت الزيادة، قال: كل من كدّ يمينك ممّا عرق فيه جبينك ولا تأكل بدينك، فإن خفت أن يضعف يقينك، فاستعن بالله يعينك، واعلم أنّ لي ولك غدا موقفا بين يدي الله عزّ وجل ولا تشك من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم دخل فأقمت على بابه أربعين يوما فلما خرج قال: ما انتفعت من الموعظة بشيء فقلت: أردت الزيادة، قال: لست من الزيادة ولكن يا فتى ارض بما قسم الله لك تكن أزهد الناس واتبع ما أمرك الله به تكن من أعبد الناس وانتهى عما نهاك الله عنه تكن من أورع الناس ثم همّ بالدخول فجذبت ثوبه فقلت: زدني منك زادا ينفعني الله به. قال: فرمى بين يدي شيئا كهيئة الدينار أو كهيئة الدرهم فنظرت فإذا هو اسم من أسماء الله تعالى ،فما سألت الله عزّ وجل به شيئا إلا أعطاني إيّاه. قال أبو محمد الحسن بن أبي العباس الأجذابي يذكر أن ذا النون وجد في الرّقعة الّتي دفعها إليه شقران يا دائم الثبات يا مخرج النبات يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات . ولشقران كلام جليل مع ذي النّون المصري يشتمل على معارف جمّة وحكم رائقة ومواعظ ووصايا، يطول بها الكتاب))

1 - الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج1 ص ص 235 ،236

ملحق رقم 02: نظرة ابن خلدون للصوفية المتأخرة[1]

((ثمّ حدث أيضا عند المتأخّرين من الصّوفيّة الكلام في الكشف وفيما وراء الحسّ وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الإماميّة والرّافضة لقولهم بألوهيّة الأئمّة وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضا القول بالقطب والإبدال وكأنّه يحاكي مذهب الرّافضة في لإمام والنّقباء. وأشربوا أقوال الشّيعة وتوغّلوا في الدّيانة بمذاهبهم، حتّى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أنّ عليّا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصريّ وأخذ عليه العهد بالتزام الطّريقة. واتّصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم. ولا يعلم هذا عن عليّ من وجه صحيح. ولم تكن هذه الطّريقة خاصّة بعليّ كرّم الله وجهه بل الصّحابة كلّهم أسوة في طريق الهدى وفي تخصيص هذا بعليّ دونهم رائحة من التّشيّع قويّة يفهم منها ومن غيرها من القوم دخلهم في التّشيّع وانخراطهم في سلكه.

وظهر منهم أيضا القول بالقطب وامتلأت كتب الإسماعيليّة من الرّافضة وكتب المتأخرين من المتصوّفة بمثل ذلك في الفاطميّ المنتظر. وكان بعضهم يمليه على بعض ويلقّنه بعضهم عن بعض وكأنّه مبنيّ على أصول واهية من الفريقين وربّما يستدلّ بعضهم بكلام المنجّمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الّذي يلي هذا. وأكثر من تكلّم من هؤلاء المتصوّفة المتأخّرين في شأن الفاطميّ، ابن العربيّ، الحاتميّ في كتاب (عنقاء مغرب) وابن قسيّ في كتاب (خلع النّعلين) وعبد الحقّ بن سبعين وابن أبي واصل [2] تلميذه في شرحه لكتاب (خلع النّعلين) . وأكثر كلماتهم في شأنه ألغاز وأمثال وربّما يصرّحون في الأقلّ أو يصرّح مفسّرو كلامهم. وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واصل أنّ النّبوة بها ظهر الحقّ والهدى بعد الضّلال والعمى وأنّها تعقبها الخلافة ثمّ يعقب الخلافة الملك ثمّ يعود تجبّرا وتكبّرا وباطلا.

قالوا: ولمّا كان في المعهود من سنّة الله رجوع الأمور إلى ما كانت وجب أن يحيا أمر النّبوة والحقّ بالولاية ثمّ بخلافتها ثمّ يعقبها الدّجل مكان الملك والتّسلّط ثمّ يعود الكفر بحاله. يشيرون بهذا لما وقع من شأن النّبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة. هذه ثلاث مراتب. وكذلك الولاية الّتي هي لهذا الفاطميّ والدّجل بعدها كناية عن خروج الدّجّال على أثره والكفر من بعد ذلك)).

---

1 - ابن خلدون المقدمة ص402.

الملحق رقم 03: تحليل ابن خلدون لوحدة الوجود عند الصوفيين الباطنيين [1]

((وأوّل مراتب التّجليّات عندهم تجلّي الذّات على نفسه وهو يتضمّن الكمال بإفاضة الإيجاد والظّهور لقوله في الحديث الّذي يتناقلونه: «كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني» وهذا الكمال في الإيجاد المتنزّل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكماليّة والحقيقة المحمّديّة وفيها حقائق الصّفات واللّوح والقلم وحقائق الأنبياء والرّسل أجمعين والكمّل من أهل الملّة المحمّديّة. وهذا كلّه تفصيل الحقيقة المحمّديّة. ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائيّة وهي مرتبة المثال ثمّ عنها العرش ثمّ الكرسيّ ثمّ الأفلاك، ثمّ عالم العناصر، ثمّ عالم التّركيب. هذا في عالم الرّتق فإذا تجلّت فهي في عالم الفتق. ويسمّى هذا المذهب مذهب أهل التّجلّي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النّظر إلى تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدّليل. وربّما أنكر بظاهر الشّرع.

هذا التّرتيب وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الأوّل في تعقّله وتفاريعه، يزعمون فيه أنّ الوجود له قوى في تفاصيله بها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادّها. والعناصر إنّما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادّتها لها في نفسها قوّة بها كان وجودها. ثمّ إنّ المركّبات فيها تلك القوى متضمّنة في القوّة الّتي كان بها التّركيب، كالقوّة المعدنيّة فيها قوى العناصر بهيولاها وزيادة القوّة المعدنيّة ثمّ القوّة الحيوانيّة تتضمّن القوّة المعدنيّة وزيادة قوّتها في نفسها وكذا القوّة الإنسانيّة مع الحيوانيّة ثمّ الفلك يتضمّن القوّة الإنسانيّة وزيادة. وكذا الذّوات الرّوحانيّة والقوّة الجامعة للكلّ من غير تفصيل هي القوّة الإلهيّة الّتي انبثّت في جميع الموجودات كلّيّة وجزئيّة وجمعتها وأحاطت بها من كلّ وجه، لا من جهة الظّهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصّورة ولا من جهة المادّة فالكلّ واحد وهو نفس الذّات الإلهيّة وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصّل لها كالإنسانيّة مع الحيوانيّة.

مع أنّ المحقّقين من المتصوّفة المتأخّرين يقولون إنّ المريد عند الكشف ربّما يعرض له توهّم هذه الوحدة ويسمّى ذلك عندهم مقام الجمع ثمّ يترقّى عنه إلى التّمييز بين الموجودات ويعبّرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقّق ولا بدّ للمريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لأنّه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبيّنت مراتب أهل هذه الطّريقة ثمّ إنّ هؤلاء المتأخّرين من المتصوّفة المتكلّمين في الكشف وفيما وراء الحسّ توغّلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملئوا الصّحف منه مثل الهرويّ في كتاب المقامات له وغيره. وتبعهم ابن العربيّ وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنّجم الإسرائيليّ في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليّة))

[1] - ابن خلدون المقدمة، ص607.

ملحق رقم 04: مقدمة رسالة الاعتبار لأبن مسرة بتصرف[1]

رسالة الاعتبار للفقيه أبـي عبد الله الجبلي رضي الله عنه وأرضاه

سلام عليك ورحمة الله، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه، وأسأله السداد في جميع الأمور.

ذكرت ـ رحمك الله ـ أنك قرأت في بعض الكتب أنه لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى أعلى إلا مثل ما دامت عليه الأشياء من الأعلى إلى الأسفل، وتطلعت إلى تحقيق ذلك وتمثيله.

اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن أول ذلك أن الله عز وجل وإنما جعل لعبادة العقول التي هي نور من نوره، ليبصروا بها أمره، ويعرفوا بها قدره فشهدوا لله بما يشهد به لنفسه، وشهدت له به ملائكته، وأولو العلم من خلقه ثم جعل ـ عز وجل ـ كل ما خلق من سمائه وأرضه آيات دالات عليه، معرفة بربوبيته، وصفاته الحسنى، فالعالم كله كتاب، حروفه كلامه، يقرأه المستبصرون بعيان الفكرة على حسب أبصارهم وسعة اعتبارهم، وأبصار قلوبهم تقلب في الأعاجيب الظاهرة المكنونة المكشوفة لمن رأى المحجوبة عمن تلهى «وتولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا» فهي مبلغ علمه، ومجال فكرته، ومنتهى همته، فلا يجاوز بصره ما لحظه بعينيه. قال الله ـ عز وجل ـ ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء...﴾ فتبين لك أن كل ما خلق من شيء موضوع للفكرة، ومطلب للدلالة. وقال في أوليائه المستبصرين الذين أثنى عليهم: ﴿... وتتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾.

فالعالم وخلائقه كلها وآياته درج يتصعد فيها المعتبرون إلى ما في العلا من آيات الله الكبرى. والمترقي إنما يترقى من الأسفل إلى الأعلى فهم يترقون بتصعد العقول من مقامهم سفلاً إلى ما انتهت إليه من صفات الأنبياء من الآيات العلا. فإذا فكروا أبصروا، وإذا أبصروا وجدوا الحق واحداً على ما حكت الرسل عليهم السلام، وعلى ما وصفوا به الحق عن الله، وأنه متفق متصادق، لا اختلاف فيه من حيث ما أنيته، فهو هو.

ولا يصل بشر إلى معرفة علم الكتاب حتى يقرن الخبر بالاعتبار، ويحقق السماع بالاستبصار ـ جعلنا الله وإياكم من الموقنين المستبصرين.

فأما تمثيل هذا الإستدلال من أسفل العالم إلى أعلاه فله أمثلة كثيرة، ووجوه شتى كلها تفضي إلى مخرج واحد، فمن ذلك أن ينظر الناظر إلى إحدى الثلاث: الحيوان أو النبات أو الموت. فنظر إلى النبات فرأى عوداً مواتاً لا حياة به، ونظر إلى حركة الغذاء فيه مندفعة إلى أعلا من أسفله، مفصلة على أقسام، قد غذيت عليها، فلا تعدوها من ضروب مختلفة، عود وقشر وورقة ونوارة وثمرة ونواة. ونظر إلى ذلك الغذاء فإذا هو صاعد علواً، وأخذ عرضاً

[1] عويضة، ص ص 77-81

فقال: إن طبيعة الماء تتحرك سفلاً، فليست هذه الحركة المتصعدة عن طبيعة، فوجب ثم شيء آخر أزال الماء عن طبيعته التي هي ضده، فلم نجد شيئاً يتحرك بطبعه علواً إلا النار، فسلم أن الماء نار رفعت الماء على ضد حركة الماء.

ملحق رقم 05: المراءة المتصوفة التلمسانية بفاس[1]

ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية . وتبركت بها وما زالت على ما تقرر عندي ، تخصني بالدعاء في ظهر الغيب . وكان قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله المقري ، رحمه الله ، يزورها ويسعى في قضاء حوائجها . وكانت على زهد وتقشف وعبادة و ورع . وكان قوتها في العام من غزل يديها من نصف وسق شرعي من الزرع وهو ثمنه ونصف بالكيل الجديد ببلدنا . لاتقبل من أحد شيئا . و ما زالت تقيم بدارنا أياما متوالية ، لا تأكل شيئا . وكانت تقيم عندنا الشهر ونحوه على يسير من قوتها و ما أكلت طعاما لنا قط . وهذه عادتها مع غيرنا . وكان الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الوهاب المعلم لكتاب الله تعالى هو الذي يكتب لها لوحها و يبادر به . وكانت تنقطع عن مخالطة الناس في رجب وشعبان ورمضان ولا تساكن أحدا ولا يراها في زمن انقطاعها أحد من الناس ولا تكلمه . واذا احتاجت الى شيء كالزيت تضع البطة عند الباب والدرهم بازائها فيبادر اليها به . وكذلك غيره . وقصدتها في بعض أشهر انقطاعها ، فوقفت الي و كلمتني ومنعتني من الدخول وقالت لي : « لولا مكانتك عندي يا أحمد ماكلمتك و ما فعلته مع غيرك . » وأراد سيد الشرفاء و جليس الأمراء الفقيه العالم العلم الصدر الشيخ الشهير أبو القاسم الشريف التلمساني زيارتها فابت وقالت : « يعظم علي أن يقصدني شريف . » وايضا « هو ممن يوالي أهل الدنيا . » وسألتها مرة عما تكلف به . فقالت : « حسكة أخلل بها أسناني . » فانصرفت ووجدت في طريقي حملا من الحسك بازاء كوشة . ففرحت بتيسيره وأخذت منه نحو الثلاث ورجعت اليها فقالت لي : « من أين هذا ؟ » فاعلمتها فقالت لي : « و هلا استأذنت صاحبها ؟ ردها اليه ! » فرجعت الى صاحب الحسك وطلبته في أن يسمح . فسمح وقال لي « لا حظ لهذا (١) . » فرجعت اليها وأعلمتها فقالت لي : « ماكان فيه هذا لا حاجة لي به ، سر في حفظ الله تعالى . » فانصرفت وعلمت أن قصدها أن تطلعني على آداب دقيقة و تنبهني على ما أنتفع به . ورفعت اليها مرة كعيكات ورغبتها في القبول فقبلت ذلك مني فكنت بعد ذلك اذا زرتها تقدم لي كعكا ولا أدري من أين هو . فقدمت لي يوما واحدة من الكعك وتبسمت وقالت لي : « هذا آخر كعيكاتك ولا أكلت الا متاعك . » وكأنها تحذرني من مثل ذلك ، نفعنا الله بها . و رأيتها مرة عليها جبة صوف وعلى راسها طرف من تليس

[1] - أبن قنفذ ، ص ص 80 ، 81 ، 82.

معقود تحت ذقنها و شيب رأسها ظاهـر على جبهتها و لـوحها فيـه من سورة البقرة بيدها . قالت لي : « كيف يكون حالي يا ولدي بين يدي ربي ! » وأخذت في البكاء . كانت تقول : « أريد أن أمـوت بعباد تلمسان . » وتكرر ذلك . فلما قربت منيتها يسر الله لها في السفـر الى تلمسـان . فسافـرت وتوفيت بها بعد وصولها اليها بأيام ، رحمها الله ونفع بها .

ملحق رقم 06: حول أقوال أبي مدين شعيب في السلوك الصوفي[1]

جاء في عنوان الدرياة قوله((عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية فأيما قلب رآه مؤثرا له حفظه من الطوراق والمحن ومتعاظلات الفتن. وقال: إياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته. وقال: من رأيته يدعى مع الله حالا لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره. وقال: من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم. وقال: من عرف الله استفاد منه في اليقظة والنوم. وقال: لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن جمعت له أربعة، الزهد والعلم والتوكل واليقين. وقال: اجعل الصبر زادك، والرضى مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك. وقال: من تعلق بدعوى الأماني لم يفارق اللتواني. وقال: من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل. وقال: جعل الله تعالى قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس وقلوب العارفين محلا للذكر والاستئناس: وقال: لا ينفع مع الكبر عمل ولا يضر مع التواضع بطالة. وقال: الفترة الاشتغال بالخلق عن الخالق. وقال: أهل الصدق قليل في أهل الصلاح. وقال من لم يجد في قلبه زاجرا فهو خراب. وقال: توكل على الله حتى يكون الغالب على ذكرك، فإن الخلق لم يغنوا عنك شيئا. وقال: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة. وقال: من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه. وقال: من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه. وقال: الدعوى من رعونة النفس وقال: أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والإماء وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار والكرماء. وقال: من خدم الصالحين ارتفع بخدمته. وقال: من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه. وقال: ثمرة التصوف تسليم كلك وقال من ترك التدبير والاختيار طاب عيشه. وقال: مروءتك إعطاؤك عن تقصير غيرك. وقال: الغيبة عن الحق خيبة. وقال: التعظيم امتلاء القلب بإجلال الرب. وقال: المهمل في الأحوال لا يصلح لبساط الحق. وقال: كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسمه فليست بحقيقة. وقال: ما عرف الحق من لم يؤثره وما أطاعه من لم يشكره. وقال المروءة موافقة الإخوان فيما لم يحظره العلم عليك. وقال: قوة العارف معروفة وقوة الغير فمعتادة مألوفة. وقال: من أراد الصفاء فليلزم الوفاء. وقال: أساس هذا الشأن على الزهد والاجتهاد. وقال: التدارك بالبلاء تحقيق بالرضى. وقال: الفقر أمارة على التوحيد ودلالة على التفريد [وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه]. وقال: الزهد فريضة وفضيلة وقربة، فالفرض في الحرام، والفضل في التشابه، والقربة في الحلال. وقال: من قطع موصولا بربه قطع به. وقال: من شغل مشغولا بربه أدركه المقت [في الوقت] (يا نفس هذه موعظة لك أن اتعظت). وقال: من استكن إلى غير الله بسره نزع الله الرحمة من قلوبهم عليه وأليسه لباس الطمع فيهم. وقال: علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق. وقال: احذر محبة المبتدعين فهو أبقى على دينك واحذر محبة النساء فهو أبقى على قلبك))

[1] الغبريني، ص ص30، 31، 32.

ملحق رقم 07: مقتبس من كتاب خواص الحروف وحقائقها و أصولها[1]

ذكر الهاء والهمزة والألف والواو والياء

اعلم ـ أرشدنا وإياك ـ إن تدبرت هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سر من أسرار الحكمة ، وظهر

ذكر الهاء والهمزة والألف والواو والياء

اعلم ـ أرشدنا وإياك ـ إن تدبرت هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سر من أسرار الحكمة ، وظهر

ذكر الهاء والهمزة والألف والواو والياء

اعلم ـ أرشدنا وإياك ـ إن تدبرت هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سر من أسرار الحكمة[2]، وظهر

وهذه الأربعة عشر حرفاً الباطنة وإن كانت تكررت في أوائل السور. فالمعنى نبين علته إن شاء الله وبه نتأيد.

القول على الحروف وتأليفها وعدة ما تألف منها والتنبيه على باطنها

اعلم ـ أرشدنا الله وإياك لطاعته ـ أن لهذه الأحرف التي في مباديء السور أسراراً غامضة، وحكمة تعلن كمالها بعد أربعة عشر يوماً ثم ظهوره ثم ينقبض ويرجع إليه. وهو مصداق قوله تعالى: «وإليه يرجع الأمر كله» وذلك بعد أربعة عشر إلى آخره. وذلك إذا تركت النفس الإمداد لهذا الجسم بما استفادته من نور العقل، وأقبلت على العقل، انقبض الأمر كله ورجع علم كل شيء إليه، وفسد العالم، وثم أمر الدنيا، وكذلك جعل ـ تعالى اسمه ـ النفس الناطقة كالقمر، وجعل العقل كالشمس، فهذه النفس الناطقة التي في الإنسان تستمد من نور العقل كما يستمد من ضياء الشمس، ويظهر ذلك العلم الذي استفادته بثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر.

وكذلك يعبر الإنسان عما في ضميره بثمانية وعشرين حرفاً. وفي هذا دليل على أن العالم الصغير جزء من العالم الكبير فإفهم هذا ونذيره، فهو من دقيق العلم الذي قد عدم أثره، وانقطع خبره.

وعن اعتبار القمر مع الشمس تظهر لك النفخة في الصور وبعث الأنفس كما بدأها أول مرة، إنه «يبدأ الخلق ثم يعيده».

---

1 - عويضة، ص ص 56، 57، 58.

قائمة المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر.**

1. القرآن الكريم

2. ابن أبي يعلى أبو الحسين ، محمد بن محمد (ت 526هـ) : طبقات الحنابلة ،تحقيق محمد حامد الفقي ،(درط) ، دار المعرفة بيروت (د ت ن).

3. ابن الأبار أبو عبد لله محمد بن عبد الله القضاعي (585 . 658هـ/ 1199. 1260م) : الحلة السيراء ، تحقيق حسن مؤنس ، ط 2 ، دار المعارف القاهرة 1985.

= = = = التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، (د ر ط)، دار الفكر للطباعة – لبنان1415هـ- 1995م.

5. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود،ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت1415هـ – 1994 م .

6. ابن الجوزي محمد جمال الدين بن علي (ت 597هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1412 هـ – 1992 م.

7. ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط2،دار الجيل بيروت 1416هـ/1996م.

8. ابن الصغير(القرن 3 هجري) أخبار الأمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، (د رط)، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان (د ت ن).

9. ابن العماد الحنبلي أحمد بن محمد العَكري (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط،ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت1406 هـ – 1986 م.

10. ابن الفرضي عبد الله بن محمد(ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1408 هـ – 1988 م.

11. ابن قنفد القسنطيني ت 810هـ/1408م:أنس لفقير وعز الحقير، اعتنى بتصحيحه ونشره محَّمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محَّمد الخامس كلية الآداب 1965.

12. ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت 804هـ) : طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه من علماء الأزهر،ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة،1415 هـ - 1994 م.

13. ابن بشكوال خلف بن عبد الملك (ت: 578 هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني،ط2، مكتبة الخانجي1374 هـ / 1955م.

14. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ):مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م.

= = = = مجموعة الرسائل والمسائل، تعليق السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي(د ت ن).

= = = = الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،(د رط)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق1405 هـ / 1985 م.

17. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 852هـ): لسان الميزان،ط2،تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان1390هـ /1971م.

= = = = فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق وتخريج عبد العزيز بن عبد الله بن بازو محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت 1379هـ/2004م.

19. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (732 - 808 هـ / 1332 - 1406م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة،ط2، دار الفكر، بيروت1408 هـ / 1988م.

20. ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ط1، مطبعة بيير فونتانا الشرقية الجزائر 1331هـ/1903م .

21. ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان و مشاهير الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت ، مكتبة الوقفية عن Archive.org .https://waqfeya.net/book.php?bid=1539 16/6/2022

22. ابن سالم مخلوف محمد بن محمد (ت 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان1424 هـ - 2003 م.

23. ابن سعيد على بن موسى (ت 685هـ):المغرب في حلى المغرب، شوقي ضيف،ط3، دار المعارف – القاهرة 1955.

24. ابن صلاح عثمان بن عبد الرحمن (643هـ): طبقات الفقهاء الشافعية،ط1،تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت 1992م.

25. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان،1415 هـ / 1995 م.

26. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد، (ت 799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ،(د ر ط)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، المكتبة الوقفية ، تاريخ الاطلاع 2022/10/25، https://waqfeya.net/book.php?bid=7081

27. ابن قنفذ القسنطيني (ت 81هـ/1408م):أنس لفقير وعز الحقير، اعتنى بتصحيحه ونشره محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب1965.

28. ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ/1311): لسان العرب،ط3، دار صادر بيروت 1414.

29. الأنصاري محمد بن محمد بن عبد الملك (ت 703 هـ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس2012 م.

30. البخاري محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): صحيح الأدب المفرد للإمام البخارين تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،ط4، دار الصديق للنشر والتوزيع1418 هـ / 1997 م.

31. البقاعي إبراهيم بن عمر (ت 885هـ):مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، تحقيق عبد الرحمن الوكيل عباس أحمد الباز - مكة المكرمة(د ت ن).

32. البيروني محمد بن أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط1 دائرة المعرف العثمانية حيدر أباد الهند 1377هـ/1958م .

33. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ): شعب الإيمان، تحقيق ومراجعة وتخريج مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد،ط1 ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند1423 هـ /2003 م.

34. التادلي ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي(ت617هـ/1220م):التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ،تحقيق أحمد توفيق،ط2،كلية الآداب بالربط المملكة المغربية1997م.

35. الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت279هـ/892م):الشمائل المحمدية، تحقيق سيد بن عباس الجليمي،ط1، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة 1413 هـ / 1993 م.

36. التنبكتي أحمد بابا بن أحمد التكروري السوداني (ت 1036 هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ط2، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا 2000.

37. الجرجاني علي بن محمد (ت 816هـ/1413م):كتاب التعريفات، تحقيق وصححه جماعة من العلماء ،ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان1403هـ /1983م.

38. أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي: البحر المحيط في التفسير ،تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت1420هـ.

39. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت1067 هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مكتبة إريكا، إستانبول - تركيا2010 م.

40. ابن الخطيب محمد بن عبد الله لسان الدين (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1424 هـ .

41. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ):تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف،ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت1422هـ - 2002 م.

= = = = تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت 1417هـ.

= = = = تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف ،ط1، دار الغرب الإسلامي – بيروت 1422 / 2002 م.

44. أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت 275هـ): سنن أبي داود، تحقيق شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط1،دار الرسالة العالمية (د م ن)1430 هـ - 2009 م.

45. الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي(ت 699 هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق عبد المجيد الخيالي،ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت 1426 هـ.

46. الدرجيني أحمد بن سعيد (ت 670هـ): طبقات المشائخ بالمغرب،ط1 ، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة 1394هـ/1974م .

47. الذهبي ،تذكرة الحفاظ،ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،1419هـ- 1998م .

48. الذهبي ،سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط،ط3، مؤسسة الرسالة1405 هـ / 1985 م.

49. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد(ت 748هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت1413 هـ - 1993 م.

= = = = سير أعلام النبلاء،(د ر ط) ،دار الحديث القاهرة1427هـ-2006م.

51. الرازي فخر الدين محمد بن عمر (ت 606هـ/1209م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (د ر ط)، تحقيق علي سامي النشار دار الكتب العلمية بيروت 1982.

52. الرازي فخر الدين محمد بن عمر (ت 606هـ/1209م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (د ر ط)، تحقيق علي سامي النشار دار الكتب العلمية بيروت 1982.

53. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ/1143م): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،ط3، دار الكتاب العربي بيروت 1407 هـ .

54. السلاوي أحمد بن خالد بن حماد بن محمد النّاصري الدرعي(1250 - 1315 هـ / 1835 - 1897 م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء المملكة المغربية 1418هـ/1997م

55. الششتري أبو الحسن علي بن عبد الله النميري : ديوان أبي الحسن الششتري،ط1، تحقيق علي سامي النشار دار المعارف الإسكندرية 1960.

56. الشماخي أحمد بن سعيد : تحقيق أحمد سعود السيالي،ط2،وزارة شؤون التراث القومي والثقافة سلطنة عمان 1412هـ/1992م.

57. الشوكاني محمد بن علي (ت 1250هـ):البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت (د ت ط).

= = = = الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد،ط1،تحقيق محمد صبحي حسن الحلاق، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع – صنعاء / اليمن1411هـ – 1990م.

59. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط ،(د ر ط)دار إحياء التراث – بيروت وتركي مصطفى1420هـ- 2000م.

60. ابن الضحاك أحمد بن عمرو بن مخلد الشيباني (ت 287هـ):كتاب السنَّة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)،ط1،المكتب الإسلامي(د م ن)، 1400هـ/ 1980م.

61. الطبراني سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ):المعجم الكبير،(ط1) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة 1415 هـ – 1994 م).

62. ابو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي: طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس(ت 333هـ)،ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان. (د رط).

63. أبو عروة البصري معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، ، نزيل اليمن (ت 153هـ): الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي،ط2، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت1403 هـ .

64. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د ر ط)، المكتبة العصرية – صيدا لبنان (د ر ط) . عبد الرؤوف زين الدين محمد القاهري (ت 1031هـ):الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – طالب عواد، دار ابن كثير دمشق- بيروت(د ت ن).

65. عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت 181هـ):الزهد والرقائق لابن المبارك ، تحقيق وتعليق أحمد فريد،ط1،دار المعارج الدولية للنشر الرياض المملكة العربية السعودية،1415هـ/1995م.

66. عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ): تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)،تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم – بيروت1416هـ/ 1996م.

67. عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي،ط1 ،مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1966 – 1970 م.

68. الغِبرِيني أحمد بن أحمد (ت 714هـ):عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة ط2،تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت1979 م.

69. الغَزَالي أبو حامد الطوسي محمد بن محمد (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م): روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق محمد بخيت،(د رط)، دار النهضة الحديثة بيروت1900 .

= = = = المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الجلال ،تحقيق، تحقيق محمد محمد أبو ليلة ونور شيف عبد الرحيم رفعت ،جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية 2001، مصر.

= = = = =إحياء علوم الدين ،ط1، دار المنهج للنشر والتوزيع جدة المملكة العربية السعودية 1432هـ/2011م.

72. الفاسي محمد العربي بن يوسف (988- 1052): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي الحسن ،تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد. https://www.noor-book.com/ -pdf .

73. الفيروزآبادى مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ):بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار،(د ر ط)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. 1416هـ / 1996 م.

74. القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف،ط1 ،دار المعارف، القاهرة 1995.

75. الكلاباذي أبو بكر محمد بن أبي إسحاق (ت 380هـ):التعرف لمذهب أهل التصوف،(د رط) ، دار الكتب العلمية بيروت،(د رط).

76. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. تحقيق محمد المطوي العروسي،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان1414 هـ - 1994 م.

77. المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي ، محيي الدين (ت 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين،ط1 ، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت 1426هـ /2006م

78. ابن مريم محَّمد بن أحمد التلمساني: البستان في ذكر أولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محَّمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية الجزائر 1326هـ/1908م.

79. المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد (1041هـ):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عبَّاس، ط1، دار صادر- بيروت – لبنان 1997م.

80. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ):أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد العظيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة1358 هـ /1939م.

81. أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،(د رط) السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

82. النيسابوري محمد بن الحسين (ت 412هـ):طبقات الصوفية،ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت1419هـ 1998م.

- **قائمة المراجع.**

83. إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ،حامد عبد القادر ، محمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،دار الدعوة1424هـ - 2003م.

84. أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ):كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)،ط1،المكتب الإسلامي(د م ن)، 1400هـ/ 1980م.

85. بالنثيا آنخيل جنثاليث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد1955.

86. البتيلي محمد بركات: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية القاهرة 1992.

87. سيدي موسى محمد الشريف: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6 هـ / 10 هـ / 16/12م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية : 1430-1431هـ/2010-2009م.

88. بن شريفة محمد: الأمير المرابطي ميمون بن ياسين حياته وحجه ت530هـ، دعوة الحق 1423هـ/2002م.

= = = = تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير توفي 638هـ،سلسلة تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي،ط1،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.

90. الحسني عبد الحي بن فخر الدين الطالبي (ات1341هـ/1922م): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)،ط01، دار النشر: دار ابن حزم – بيروت، لبنان، 1420 هـ، 1999م.

91. بونابي الطاهر : عصر المتصوفة في بلاد المغرب الأوسط ، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2017.

92. دواد فاطمة الزهراء : التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله ، مجلة حوليات القرآن جامعة مستغانم العدد 01 سنة 2004.

93. الزبيري وليد بن أحمد الحسين ، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»،ط1، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا،1424 هـ - 2003 م.

94. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي: الأعلام،ط15، دار العلم للملايين بيروت لبنان 2002 م.

95. زروق عبد الله حسن : أصول التصوف ، المركز القومي للإنتاج الاسلامي ،أفريل 1994.

96. زيان محمد شوقي: التصوف، العرفان ، الكنان : غربلة في المصطلح وقفزة في الرؤية، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد 1 ، العدد 1 ،14جوان 2018م.

97. سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا،ط2 ،دار الفكر. دمشق - سورية1408 هـ / 1988 م.

98. الطراونة مبارك محمد بلال: حركة محمد بن مسرة ومذهبه الديني في الأندلس، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية – المجلد الخامس عشر – العدد الثالث2015هـ.

99. طيطح نصيرة : ابن مسرة الأندلسي وإشكالية العقيدة والسلطة، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 08 / العدد: 01 السنة 2021.

100. عبّاس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)،ط1، دار الثقافة - بيروت 1960.

101. العدلون محمد: الإدريسي فلسفة ابن قسي الصوفية: وأثرها على التصوف المتأخر بالمغرب الإسلامي مجلة حكمة ، تاريخ الاطلاع 24 2022/10، https://hekmah.org

102. بن عزوز نبيلة: ابن سبعين وتجربته الصوفية في الأندلس، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 01، العدد 02، جوان 2019.

103. بن عويمر رزقي: السماع الصوفي وتجلياته الوجودية، مجلة دراسات انسانية واجتماعية ، جامعة وهران ، العدد 4، جانفي 2014م ص 9 فما بعدها.

104. عويضة كامل محمد : ابن مسرة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الفيلسوف الزاهد،ط1،دار الكتب العلمية بيروت 1414هـ/1994م.

105. غرميني عبد السلام: المدارس الصوفية المغربية والاندلسية في القرن السادس الهجري،ط1،دار الرشاد الحديثة1420هـ/2000م.

106. القرشي أمل عوض الكريم محمد سعيد: أثر فكر ابن عربي في أسس الفلسفة لما بعد الحداثة" وحدة الوجود، والموقف من العقل " دراسة تحليلية نقدية، مجلةً الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية قسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية المجلد الثاني العدد الأول (جوان 2018 م).

107. الكانوني العبدي محمد بن أحمد: البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي محمد صالح ،ط1،منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر الرباط 2011.

108. كحالة الدمشقي عمر بن رضا (ت 1408هـ): معجم المؤلفين،(د ر ط) مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د ت ن).

109. ماسينيون لويس ومصطفى عبد الرزاق: التصوف ، ترجمة إبراهيم خورشيد ،عبد الحميد يونس، ، حسن عثمان، ط1 ، دار الكتب اللبناني بيروت 1984.

110. المجددي البركتي محمد عميم الإحسان: التعريفات الفقهية،ط1، دار الكتب العلمية بيروت (د ر ط)

111. محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسيين،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان،1994.

112. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير،ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،1417 هـ 1997/ م.

113. الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ،ط4،إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع1420هـ.

114. نويهض عادل: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»،ط3 ،تحقيق الشَّيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان1409 هـ/ 1988 .

فهرس المحاضرات

المقدمة..... 01

المحاضرة رقم 01 : تمهيد وتعريفات. 04

1.تعريف الزهد...... 04

1.1.تعريف الزهد لغة. 04

2.1. زهد الصحابة..... 05

3.1. بعض مراتب الزهد. 06

2.تعريف الوَلِيُّ والعارف..... 06

1.2. تعريف الوَلِيُّ. 06

2.2.معنى العارف بالله تعالى. 07

3.2. تعريف الطريقة. 08

3.تعريف التصوف. 08

1.3.التعريف اللغوي..... 08

2.3. هل هناك أصل يوناني للتصوف. 08

3.3.رأي القشيري في هذه التسميات. 09

4.3.تعريفات عن التصوف وأحوال المتصوفة. 09

المحاضرة رقم 02 من الزهد الى التصوف في المشرق..... 12

1.الزهد صفة ملازمة للصحابة..... 12

2.زهد التابعين 14

3. ظهور التصوف والطبقة الأولى الذين عدوا من الصوفية. 16

1.3. أول من أظهر التصوف 16

2.3.ممن ذكروا في هذه الطبقة الأولى من الصوفية..... 16

3.3. من الطبقة الثانية من المتصوفة. 17
4. أشهر متصوفة القرنين الخامس والسادس الهجريين في المشرق..... 20
1.4.عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني. 20
2.4.أبو حامد الغَزالي محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي..... 22
3.4.الحلاج، الحسين بن منصور الصوفي..... 22
المحاضرة رقم 03 : الزهاد في إفريقية منذ القرن الثاني الهجري/10م..... 23
1.الزهاد التابعين في القرن الثاني بإفريقية. 23
1.1 بعض التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. 23
2.1.العلماء الموصوفون بالزهد في القرن الثاني للهجرة 24
3.1. زهاد الطبقة الثانية في كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم 25
2.بوادر ظهور التصوف في القرن الثالث الهجري في إفريقية. 26
3.مكانة الزهاد العلمية والاجتماعية. 27
4. انضمام الزهاد للرباطات وحياتهم فيها. 34
المحاضرة رقم 04: عوامل ظهور فئة العبَّاد والمتصوفة..... 30
1.العوامل العامة لجنوح طائفة من المجتمع الى الزهد والتصوف مشرقا ومغربا..... 30
1.1.طبيعة الإسلام التي تحث على الزهد. 30
2.1.العوامل الاجتماعي. 30
3.1.غياب جيل الصحابة من عوامل ظهور المتصوفة حسب القشيري. 31
4.1. عوامل تزايد حركة الزهد ا ولتصوف في بلاد المغرب 31
5.1.العامل النفسي 32
6.1. تأثير النحل الخارجية..... 32
المحاضرة رقم 05 : الزهد عند الإباضيين في بلاد المغرب..... 36
1.الزهد عند الإباضيين قبل تأسيس الدولة الرستمية. 36
2.الزهد الإباضي في عهد الدولة الرستمية. 37
3.الزهد الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ وقيام الدولة الفاطمية العبيدية ثم العهد الزيري منذ361هـ. 39
1.3. الزهاد الإباضية من الطبقة الخامسة حسب المؤرخ الدرجيني 39
2.3. الزهاد الإباضيين من الطبقة السابعة. 39
3.3. الطبقة الثامنة. منذ العهد الزيري والحمادي ثم الموحدي 39

4.3.من الطبقة التاسعة 40
6.3.من الطبقة العاشرة 40
4.ظهور العزابة في القرن الخامس الهجري ومدى اقترابها من مناهج المتصوفة 40
1.4.أصل كلمة العزابة..... 41
2.4.الحلقة..... 41
3.4.الختمة 41
المحاضرة رقم 06 : الزهد والزهاد في الأندلس في القرنين الثاني والثالث الهجريين. 43
1. أوائل الزهاد في الأندلس المرتحلين إليها. 43
2. الزهاد الاندلسيون والرحلة الى البلاد المغرب والمشرق. 54
المحاضرة رقم 07:من الزهد الى التصوف في الأندلس(القرنين الرابع والخامس الهجريين)... 47
1.تصاعد التيار الزهدي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين. 47
2.التيار الصوفي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس. 50
3.التيار الصوفي في الأندلس في القرن السادس والسابع الهجريين..... 52
4.الصوفيون الغزاليون بالأندلس. 54
المحاضرة 08: جماعات المجاهدة الروحية والوعظ والتذكير في الأندلس.(جماعة التصوف الألبيرية، جماعة التصوف المعوذية) 55
1.أمثلة عن اجتماع الزهاد للذكر والعلم منذ القرن الثاني للهجرة 55
2.جماعة التصوف الألبيرية. 55
3.الجماعة المعوذية. 57
المحاضرة رقم 09 : التيار الصوفي الفلسفي في الأندلس (مدرسة ابن مسرة) 59
1.مدرسة ابن مسرة 269 - 319هـ /931م. 59
1.1.مولده ونشأته. 59
2.1.أراء ابن مسرة الصوفية. 59
3.1. مؤلفاته وأفكاره الفلسفية والكلامية والصوفية. 61
4.1.موقف الفقهاء المالكية من مدرسة ابن مسرة والمسريين. 62
5.1. موقف الدولة الأموية من مدرسة ابن مسرة والمسريين..... 63
6.1.كبار مريدي ابن مسرة 63
محاضرة رقم 10: مدرستا ابن العريف وابن برجان، وحركة ابن قسي في العهد المرابطي وبداية العهد الموحدي بالأندلس. 67

1.مدرسة ابن العريف في الأندلس وامتداداتها في بلاد المغرب 481 .536هـ / 1088.1141م. 67
1.1 . تعريف ابن العريف 67
2.1. تصوف ابن العريف. 68
3.1.موقف الفقهاء من ابن العريف 69
4.1. أتباع ابن مسرة 69
2. مدرسة أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن برجان. ت 526هـ..... 71
1.2. تعريف ابن برجان. 71
2.2. تصوف ابن برجان. 71
3.2. أهم مؤلفاته..... 72
4.2.موقف الفقهاء والدولة المرابطي من الفلسفة الصوفية لابن برجان. 73
5.2.أتباع ابن برجان. 73
3. أبو القاسم احمد بن القاسم بن قسي م ت 546هـ/1151م. المتصوف السياسي الثوري..... 73
1.3.. تعريف ابن قسي 73
2.3.ثورة ابن قسي 539-540هـ او ثورة المريدين. 74
3.3.تصوف ابن قسي. 74
4.3.أثر فكر ابن قسي الصوفي..... 76
محاضرة رقم 11: تصوف محيي الدين بن عربي(558- 638هـ)بين الأندلس وبجاية وبلاد المشرق..... 77
1. تعريف ابن عربي ، تعليمه مؤلفاته 77
1.1 تعريف ابن عربي. 77
2.1.مؤلفاته. 77
2.عموم مذهب محي الدين ابن عربي في التصوف. 78
1.2. تعريف وحدة الوجود. 78
2.2. الناقدون لفكر ابن عربي الصوفي. 78
3.2. المدافعون على تصوف ابن عربي. 80
المحاضرة رقم 12:التيار الصوفي في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين 82
1. بعض متصوفة بجاية في القرنين 6 و7 الهجريين. 82
2.بعض متصوفة تلمسان في القرنين 6 و7 الهجريين التيار الصوفي ببجاية. 85
المحاضرة رقم 13: التيار الصوفي العرفاني في بلاد المغرب والأندلس..... 88
1.المدرسة الغزالية. (450 - 505 هـ / 1058 - 1111 م). 88
1.1.تعريف الإمام الغزالي. 88

2.1.تأثر المغاربة بتصوف الامام الغزالي. 90
3.1. التيار الغزالي بتلمسان. 91
4.1. التيار الغزالي بجاية والمسيلة. 91
5.1. التيار الغزال بالأندلس. 91
2.المدرسة المدينية. 92
1.2. تعريف أبي مدين شعيب. 92
2.2.منهج التصوف المديني. 93
3.2 . المدينيون ببجاية. 94
4.2. ممن أخذ التصوف على الطريقة المدينية بتلمسان..... 95
3.المدرسة الماجرية 95
1.3. تعريف المدرسة الماجرية 95
2.3.شيوخ أبي محمد الماجري. 95
3.3.من مريدي أبي محمد الماجري. 96
4.3. انشاء الرباطات على طريق الحج من المغرب الأقصى. 96
4.المدرسة الشاذلية. 96
1.4.تعريف أبي الحسن الشاذلي. 96
2.4. تصوف الشيخ أبي الحسن الشاذلي. 96
3.4. انتشار الطريقة الشاذلية. 97
المحاضرة رقم 14 :التيارات الصوفية الباطنية في بلاد المغرب 99
1.المدرسة الحرالية أو المدرسة الباطنية الاشراقية في بلاد المغرب والمشرق. 99
1.1.تعريف الحرالي. 99
2.1. مشايخ الحرالي. 99
3.1.فلسفة الحرالي الصوفية..... 100
4.1.مؤلفات الحرالي. 100
5.1.طلبة الحرالي. 101
2. الصوفية الشوذية بتلمسان وبجاية (أوصوفية الوحدة المطلقة). 102
1.2.تعريف أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي(ت أوائل القرن 7هـ/13م). 102
2.2.من مريدي أبي عبد الله الشوذي. 103
3.المدرسة السبعينية. 104
1.3.تعريف ابن سبعين. 104

2.3.تصوف ابن سبعين ومريديه 105
3.3.أراء حول وحدة الوجود ومعتنقها من الصوفية..... 105
الخاتمة. 107
الملاحق..... 110
قائمة المصادر والمراجع..... 119
فهرس الموضوعات..... 130- 135